

و المن المن المربية - جامعة الأزمر

الطبعـــة الاطلق ١٤١٧ هـ ـ ١٤١١ م





بسيكه العزالن م

مقــــدمة

الحمد الله و العالمين ، والصلاة والمسلام على خاتم النبيين و المسلام ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين •

أما بعسد ٠٠

مالكلمة هي اللبنة الأساسية في بناء الأسلوب ، منها ينشك ، وعليها يقوم ، ومن ثم عنى بها العلماء والأدباء ، وأهتم بها المتكلمون والمؤلفون ، ووضع لها أرباب البيان من المقاييس ما يجعلها خالصة مما يشينها في مادتها أو صورتها أو معناها ، للتكون عماد أسلوب بليخ يقنع العقل ، ويمتع الوجدان •

وقد بدأت مقابيس فصاحة الكلمة بملاحظات ووصايا ، وتطورت على أيدى الأدباء والنقاد الى مبادىء محددة ، وأسس منضبطة ، لا ينبغى لقائل أن يحيد عنها ، حتى لا يفقد كلامه سمة الفصاحة ،التى هى مناط الابانة والافهام .

حدا البحث يرصد القاييس البلاغية لفصاحة الكلمة في تراث البيانيين عبر العصور المختلفة ، ويلقى عليها الضوء ، محللا ، ومقارنا ، وناقدا ، وسيقوم على فصلين :

الفصل الأول: يتناول مقاييس فصاحة الكلمة عند المتقدمين ، بدءا من الملاحظات المتفرقة ، وانتهاء بالمقاييس المصددة عند ابن سسنان المخفاجي ، اأذى تعد دراسته قمة البحث في هذا الموضوع .

والفصل الثانى: يتتبع مقاييس فصاحة الكلمة عند المتأخرين ، بداء من البعدادى ، وانتهاء بالخطيب القزوية ي وشراح تلخيصه ،

والله أسأل التوفيق والسداد ، والقبول والنفع ، انه نعم المهلى ونعم النصير .

مكة المكرمة دكتور الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت

الأستاذ المساعد بجامعة الأزهر وجامعة أم القرى فی ۱۷/۱۲/۱۱ ا ۲۹/۲/۱۹۹۱م

الفصال لأول

فصاحة الكلمة عند المتقدمين

بداية فطرية ٢

طبع الله العرب على فصاحة التعبير ، وبلاغة القول ، فكان البيان من معاخرهم ، والطلاقة من مآثرهم ، يمدحون بشدة العارضة ، وقوة المنة ، وظهرر الحجة ، وثبات الجنان ، وكثرة الويق ، والعلو على الخصم ، ريهجون بخلاف ذلك (١) •

قال زبان بن سبار الفزاري مفتخرا :

وقلنا بلا عى وسسنا بطاقة اذا النار نار الحرب طال اشتعالها

وجعلوا الحصر والعي والعجز من الخرق ، كانت في الجوارح أم في الألسنة وتعوذوا من ذاك فقال النمر بن تولب :

أعدنى رب من حصر وعى ومن نفس أعالجها علاجا وضربوا المثل في البيان بسحبان ، والمثل في العي بباقل ، وقال حميد بن ثور الهلالي:

أتانا ولم يعد له سحبان وائل بيانا وعلما بالدى هو قائل فما زال عنه اللقم حتى كأنه من العي لما أن تكلم باقل (٢)

وذكر الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام حالهم في بلاغهة المنطق ، ورجاحة الأحلام ، واللدد عند الخصومة فقال تعالى : « فاذا

⁽١) البيان والتبيين : ١٧٦/١٠ •

⁽۲) السابق : ۱/۲ ۳ – ۳ (۲)

ذهب الخوف سلقوكم بألستة حداد » (٣) وقال عز وجل: « لتنذر بسه قوما ادا » (٤) ، وقال جل شائه : « ويشهد الله على ما فى قلب وهو ألد الحصام » (٥) • كما ذكر الله تعالى خلابة ألسنتهم ، واستمالتهم الأسماع بحسن منطقهم فقال سبحانه : « وأن يقولوا تسمع لقوامهم »(٦) ، وقال عز وجل(٧) : « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا » (٨) •

وجدير بهؤلاء القوم وقد اتصفوا بالبلاغة وحسن البيان ، أن يكون لديهم بصر بضروب الكلام ومسالكه ، وقدرة على تمييز جيده ورديئه ، وأن يعملوا على تجويد قولهم ، وتهذيب الفاظهم ، وانتقاء الملائم منها للمقامات المختلفة ،

وهذا ما ثبت لهم ، وأثر عنهم ، وعرفوا به ، ولا أدل على ذلك من نقدهم ألفاظ الشاعر حين يرونها غير دقيقة،أو لا تفى بالمقصود (٩) ومن تحبيرهم القصائد وتثقيفها،لتظهر فى أدى صورة وأبهى حالة ومن شعرائهم من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا ، وزمنا طويلا، يردد فيها نظره ، ويجيل فهيا عقله ، ويقلب فيها رأيه ، اتهاما لعقاه ، وتتبعا على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره ، اشفاقا على أدبه ، واحرارا لما خوله الله تعالى من نعمت ه

⁽٣) الأحزاب : ١٩٠

⁽٤) مريم: ٩٧٠

⁽٥) البقرة : ٢٠٤٠

٦٥) المنافقون : ٤ ٠

٧٠) البقرة : ٢٠٤ .

۸ البيان والتبيين : ۱/۸ ، ۹ ،

⁽٩) ينظر الإغاني : ٩/ ٣٤٠ ٠

وكانو! يسمون تلك القصائد: الحوليات، والمقادات، والمنقصات، والمحكمات، ليصير قائلها غدلا خنذيذا وإشاعرا مفلقا (١٠) •

ولم يقتصر التحبير والتهذيب وانتقاء الألفاظ على الشعر ، فقد كانوا يستعملونه فى الخطب ، وما يعدونه من كلام للأمور المهمة ، فكانوا اذا احتاجوا الى الرأى فى معاظم التدبير ومهمات الأمور ميثوا د ذللوا _ الكلام فى صدورهم، وقيدوء على أنفسهم، فاذا قومه الثقاف وأدخل الكير ، وقام على الخلاص ، أبرزوه محككا متقحا ، ومصفى من الأدناس مهذبا (١١) •

وقد نقل الرواة عن العرب من الملاحظات النقدية الشيء الكشير الذي ينطوى على علم صحيح موافق للقيرانين الذي وضعها البلغاء بعد ازدهار علوم العربية (١٢) •

ونزل القرآن الكريم على الرسول صلى الله عليه وسلم بلسان عربى مبين : ميسر للذكر ، منزه عن التكلف ، فبهرهم ببلاغته ، وسحرهم ببيانه ، وأعجزهم بنظمة ، وأرشدهم الى مناهج فى القول لم يقفوا عليها ، ودفعهم هذا الى ادمان النظر فيه ، وشدة التأمل له ، والتأسى عليها فى ألفاظه وأسالييه ومعانيه ، وكان لهذا أثره البالغ فى تهذيب لغتهم ، وأحكام أساليهم ، وتنخير معانيهم (١٣) ،

تعلموا من القرآن الكريم أن يدققوا فى اختيار الألفاظ التى يجبرون بها عما فى تفوسهم ، لتدل على القصود دلالة واضحة لا غموض فيها ولا التواء •

١٠١) البيان والتبيين : ١٠١٠ ٠

⁽١١) اليبان والتبيين : ١٤/٢ •

⁽۱۲) ينظر منهاج البلغاء: ٢٦ ١٠

⁽١٣) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية : ١٢ ، ١٣ ٠

فقد حث على ألا يستخدم لفظ مكان آخر حسبما يفهم من قوله تعلى: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » (١٤) ، فهن لا يرى التهاون في استعمال اللفظ، ولكنه يرى التدقيق فيه ليدل على الحقيقة من غير لبس ولا تمويه ولما كانت كلمة « راعنا » لها في العبرية معنى مذموم ، نهى المؤمنين عن مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم بها فقال : « يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا » (١٥) فالقرآن شديد الدقة فيما يختار من لفظ يؤدى به المعنى (١٦) ، وقد استفاد المسلمون من هذا النهج القدويم ،

وأثر فيهم بيان النبى صلى الله عليه وسلم بوهو أفصح العرب ، ولم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، ولا أقصد لفظا ، ولا أعدل وزنا، ولا أجهل مذهبا ، ولا أكرم مطلبا ، ولا أحسن موقعا ، ولا أسلم مضرجا ، ولا أفصح معنى ، ولا أبين فى فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم (٧٠) .

وف أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنه كان يعنى أشد العناية بتخير لفظه ، نقد أثر عنه أنه كان يقول : « لا يقول أحدكم خبثت نفسى ، ولكن ليقل القست نفسى » كراهية أن يضيف المسلم الخبث الى نفسه (١٨) •

ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى النزام السهولة في الكلام، وعدم التكلف في النطق ، ونهى عن التشادق والثرثرة فقسال : « اياي ا

⁽١٤) الحجرات : ١٤ ٠

⁽١٥) البقرة : ١٠٤ •

⁽١٦) من بلاغة القرآن : ٥٧ ، ٥٨ .

⁽۱۷) البيان والتبيين ۽ ٢٨٨٠ و اين سر ٢٠ وه د د د د د

⁽١٨) الحيوان : ١/٣٣٥ ، والبلاغة تطور وتاريخ : ١٤ ه

وعاب صلى الله عليه وسلم سجع الكهان ، لما فيه من تكلف فى اللفظ ، وتشادق فى النطق (٢٠) • وجانب أصحاب التقعيب ، واستعمل المبسوط فى هوضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ، ورغب عن الهجين السوقى (٢١) •

وفى كل ما تقدم عنه صلى الله عليه وسلم دعوة واضحة الى اختيار، الكلام السلس ، البعيد عن التكلف والغرابة والعسوقية والمعسر عن المعنى تعبيرا دقيقا ، لا لبس فيه ولا ايهام .

ومضى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسام على هديه في احكام القول، والتدقيق في استعمال الكلمة لما لها من خطر عنايم ، وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ذا حس دقيق بالكلام ومواقعه ، ومال الى الأحنف بن قيس لما رأى من رفقه ، وقلة تكافة ، وقضل زهيرا لأنه كان لا يعاظل في المنطق ، ولا ينتبع حوشى الكلام ، وقد استفاد قدامة ابن جعفر من هذا ، فجعل من عيوب الألفاظ : الغرابة والحوشية ، والمعاظة ، واستشهاد بقول عمر بن الخطاب في ذلك (٢٢) ،

رفى العصر الأموى تغيرت الحياة العربية ، وتطورت النظم ، ونشأت الفرق السياسية والدينية ، واتسع مجال الشعر والخطابة في

⁽١٩) البيان والتبيين : ١/١٣ ، ٦٣ ، ٢٧١ ، ٢١/٠ •

وينظر الجامع الصغير : ٧٤/١ .٠

⁽۲۰) البيان والتبيين: ١/٢٨٧ ٠ ...

⁽۲۱) البيان والتبيين : ۱۷/۲ · والتقعيب : كالتقعير وهو أن يتكلم ياقصي قعر فمه ·

⁽۲۲) نقد الشعر: ۱۷۲، ۱۷۲ •

مجالس الخلفاء والأمراء وفى المحافل والماسبات ، ونهضت الخطابة بوجه حاص حتى عاشت عصرها الخهبى ، وبرز خطباء متميزون ، شهروا بالفصاحة وضرب بهم المثل فى البلاغة ، ومنهم الأحنف بن قيس الذى دحل على معاوية وأثر فيه بحلاوة بيانه فقال له : لقد أوبيت تميم الحكمة مع رقة حواشى الكلام (٢٣) .

ومنهم خطياء الوعظ ااذين بلغوا الغاية فى روعة البيان ، وفى مقدمتهم غيلان الدمشقى ، والحسن البصرى ، وقد كان الأدباء يحفظون كلام الحسن وغيلان حتى يبلغوا ما يريدون من المهارة البيانية (٢٤).

ومن الخطباء زيد بن على بن الحسين ، وكان لسنا جدلا يجدنه الناس بحلاوة لسانه وسهولة منطقة وعذوبته (٢٥) .

ونتيجة للتطور الكبير الذي طرأ على الحياة الاجتماعية والسياسية والعقلية وما صحبه من عضة علمية ، واتساع مجال القول ، وازدهار الخطابة والشعر ، كثرت الملاحظات التقدية ، ونما النظر في فصاحة الكلام ، وما يازم لذلك من اختيار الألفاظ ، وتخليصها من التنافس والتكلف ، والحوشى ، والمبتذل لتؤثر في الأسماع والقاوب(٢٦) .

المصر العباسي الأول :

كنرت الملاحظات البلاغية في هذا العصر ، والسبعت التتناول جوانب الأسلوب ، ومقامات الكلام ، وضوابط البلاغة ، وأدوات البليغ .

⁽۲۳) البيان الاالتبيين: ١ / ٥٤ •

⁽٢٤) البيان والتبيين : ٢٩٥/١ ، والبلاغة تطور وتاريخ : ١٥ .

⁽٢٥) البينا والتبيين : ١/٨٥ ، والبلاغة تطور وتاريخ : ١٤ ٠

⁽٢٦) ينظر البلاغة تطور وتاريخ : ١٥ _ ١٨ •

وقد أعدت لذلك أسباب مختلفة ، منها ما يعود ألى تطور النثر والشعر مع تطور الحياة العقلية والحضارية ، ومنها ما يعود الى نشوء طائفتين من المعلمين عنيت احداهما باللغة والشعر ، وعنيت الأخسرى بالخطابة والمناظرة واحكام الأدلة ودقة التعبير وروعته (٢٧) •

وفد عملت هذه الطوائف المختلفة على تنمية العناية بانتقاء الألفاظ وتهذيبها ، ووضع ضوابط لما يختار منها ، وبرز فى هذا المجال على وجه الخصوص الكتاب والمنكلمون •

غأما الكتاب فقد كانوا يختارون من الفصحاء البلغاء ، وقد تحولوا بالدوارين العباسية الى ما ينسبه مدرسة نثرية كبيرة ، اذ كانوا يتعهدون من حت أيديهم من صعار الكتاب ، ويأخذون الفسهم بالتثقف ثقافة واسعة ، حتى وقفوا على تصاريف الكلام ووجوه استعماله ، وميزوا بين جيده ورديئه ، ومتبوله ومرذوله ، مما جعل الجاحظ ينوه بهم طويلا (٢٨) فيقول : أما أنا فلم أر قطة أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ، فانهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا والاساقط سوقيا (٢٩) ، ويقول : ورأيت عامتهم لا يقفون الا على الألفاظ المتذبة ، والمعانى المنتخبة ، وعلى الألفاظ العذبة ، والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة (٣٠) ،

ومن هؤلاء الكتاب النابهين يحيى بن جعفر بن يحيى البرمكى الذي . وصف بالله أنطق الناس وجمع الهدوء ، والتمهل ، والجزالة ، والحلاوة، والفهاما يغنيه عن الاعادة (٣١) .

⁽۲۷) البلاغة تطور وتاريخ : ۱۹ •

⁽۲۸) السابق: ۲۱ •

⁽۲۹) البيان والتبيين : ١٣٧/١ ٠

⁽٣٠) البيان اوالتبيين : ٢٤/٤ ١٠

⁽۳۱) السابق: ١/٥٠١٠

وسألة ثمامة بن أشرس عن البيان فأجابه بقوله: أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك ، وتخرجه عن الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ، والذى لابد منه أن يكون سليما من التكلف ، بعيدا من الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأويل (٣٢) .

غبين في هذه الاجابة الموجزة صفات اللفظ الفصيح الذي ينهض عليه البيان الحسن ، وهي . احاطته بالمعنى ، وكشفه عن المراد ، ودقته في التعبير عن المعنى ، وسلامته من التكاف والتعقيد ، والعموض • ومن هذا النبع الأصيل ونظائره استقى البلاغيون ضوابطهم في فصاحة الكلمة •

وآما المتكلمون فقد كانوا يعنون بمسائل البيان والبلاغة ، لاتصالها بما كانوا يتهضون به من الخطابة والمناظرة في مسائل الكلام (٣٣) • وقد بلغ متكلموا المعتزلة شأوا بعيدا في الخطابة والجدل والماظرة ، واهتموا بتعنيم الناشئة أصول البيان وأسس البلاغة ، مستعينين بثقافتهم الواسعة في الدين واللغة ، والفلسفة والمنطق •

وقد أشاد الجاحظ بحسن بيانهم، وطلاقة لسانهم، وقرة حجتهم، وسعة نقاغتهم ، وقال فى وصف تمامة بن أشرس أحد رءوسهم : ماعامت أنه كان فى زمانه قروى ولا بلدى ، كان بلغ من حسن الافرام مع قلة عدد الحروف ، ولا من سوولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه ، وكان لفظه فى وزن اشارته ، ومعناه فى طبقة لفظه ، وام يكن لفظه الى سمعك بأسرع من معناه الى قلبك (٣٤) .

⁽۳۲) البيان والتبيين : ١٠٦/١ .٠

⁽٣٣) البلاغة تطور وتاريخ : ٣٢ ٠

⁽٣٤) البيان والتبيين : ١١١/١ •

ولا غروا في دلك منقد كان لمتكلمى المعتزلة أثر جليل في تجلية كثير من المسائل البلاغية ، ومنها ما يتعلق بالألفاظ وفصاحتها ، والقامات ومراعاتها في الكلام .

وكان بشر بن المعتمر ت ٢١٠ ه من أوائل الذين دونوا صحفا في البلاغة ، لارشاد الخطباء والمتكلمين ، ونصــح الشــعراء والمتأدبين ، وتعريفهم بمواصفات الكلام البليغ ٠

وقد روى الجاحظ في بيانه هذه الصحيفة كاملة ، وجعلها نبراسا يستضىء به في حديثة عن الألفاظ والمقامات (٣٥) •

وقد جاء في صحيفته ما يخص الألفاظ وتجويدها ، مما يعد أصلاً لا ذكره البلاغيون في فصاحتها بعد ذلك •

فقد أوصى بأن يكون اللفظ رشيقا عذبا وفخما سهلا • وحذر من استعمال الموحشى فقال : واياك والتوعر ، فان الاوعر يسلمك الى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، ويشين الفاظك •

وخير الكلام عنده ما كان وسطا لا غرابة فيه ولا ابتذال ، والبليغ التام هو من يستطيع ببيانه أن يفهم العامة معانى اللخاصة ، ويتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء .

والألفاظ عنده منها الكريم وغير الكريم ، ومن أراغ معنى كريما فليتمس له لفظ كريما ، فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما (٣٦) .

۱۳۸ – ۱۳۰/۱ والتبيين : ۱۳۰/ – ۱۳۸ مرا ،

⁻ ١٣٥/ البيان والتبيين : ١٣٥/١ _ ١٣٩ .

وهذا يعنى أن يتخبر الأديب الفاظه وتراكييه ، ويخلصها من المتنافر والثقل ، والغريب المتوعر ، والتعقيد ، ويستعمل منها ما يلائم المقامات ويتناسب مع المعانى •

وهذه الاشارات الدقيقة كانت أساسا بنى عليه البلاغيون كلامهم المفصل في الفصاحة •

وتأليف ألكتب:

وفى النصف الأول من انقرن الثالث الهجرى بدأ الأدباء والنقاد في وضع المصنفات التى تهتم بالأدب والبيان مسجلين فيها ما أثر عن العرب من ملاحظات نقدية ، وما قدمه الخطباء والكتاب من وصايا تعالج بعض مسائل البلاغة ، وتناولوها بالشرح والتعليق ، وأضافها اليها من ثقافاتهم ما يدعمها ويكملها •

ثم تطورت هذه المؤلفات الى دراسات منهجية مختصة بالبلاغة والنقد ، وتتضمن درسا لموضوع الفصاحة والبلاغة ، يشرحون فيه هذين المصطلحين ، ويبينون ما بينهما من فروق ، ويتساولون المقاييس الخاصة بفصاحة اللفظة المفردة ، والألفاظ المؤلفة ، وغير ذلك مما يتصل بههذا الدرس •

وسنعرض فيما يلى المصنفات التى نتاولت فصاحة اللفظة المفردة ، لنقف على هذا الموضوع فيها ، ونجلى جهود أصحابها ، ونبرز القاييس التى اعتمدوها فى نصاحة الكامة •

الجاحظ (ت ٢٥٥ه) :

دون الجاحظ كثيرا مما أثر عن فصحاء العرب من أقوال في فضل البيان ، والدعوة الى تجريده وتنميقه وبين سبيلهم في القول ، ونهجهم

فى التعبير ، وساق وصايا المتقدمين فى وصف البلاغة ، ونصائحهم فى تهذاب الألفاظ وانتقائها ، واهتم بشرحها ، واختار ما راقه منها ، وأضاف اليها من ذكره ما رآه لازما فى هذا المضارا ، فنبه بذلك على أسس دقيقة فى غصاحة الألفاظ بنى عليها البلاغيين من بعده •

وأهم الجوانب التي تناولها الجاحظ فيهما يخص فصاحة الألفاظ ما يلي :

١ _ اختيار الألفاظ :

أفاض الجاحظ في الحديث عن الألفاظ والدعوة الى اختيارها وانتقائها ، لأنها مقدمة عنده في العمل الأدبى : فالمعانى مطروحة في الطريق يعرفها العجمى والعربي والبدوى والقروى ، وأنما الشأن في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك (٣٧) .

وتقديمه الألفاظ فى العمل الأدبى ، لا يعنى طرحه جانب المعنى ، فمن المعانى والألفاظ يينى العمل الأدبى ، وينبغى أن يتحتسار له أحسن المعانى ، والباسها آجود الألفاظ .

وادًا كان المعنى شريفا ، والأقسط بليغا ، واكان صحيح الطبع ، بعيدا من الاستكراه ، ومنزها عن الاختلال ، مصونا عن التكلف ، صنع في القنوب صنيع الغيث في التربة الكريمة (٣٨) .

ومتى شاكل اللفظ معناه ، وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقا ، ولذلك القدر لفقا ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف ، كان قمينا بحسن المرقع ، وبانتفاع المستمع ٠٠٠ ومتى كان الافظ أيضا كريما فى نفسه ، متخيرا من جنسه ، وكان سليما من

۱۳۱/۳ : ۱۳۱/۳۷ •

⁽٣٨) البيان والتبيين : ١٨٣٨٠

الفضول ، بريئا من التعقيد ، حبب الى النفوس ، والتحم بالعقدل ، وهشت اليه الأسماع ، وارتاحت له القلوب ، وخف على ألسن الرواة ، وشاع فى الآفاق ذكره ، وعظم فى الناس خطره ٠٠٠٠ (٣٩) .

والبليغ من استولى على حسن الافهام ، مع قلة عدد الحروف ، وسهولة الخرج ، والسلامة من التكلف ، وكان لفظه فى وزن اشارته ، ومعناه فى طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه الى سمعك بأسرع من معناه الى قلبك (٤٠) •

وليس فى خطب السائه الطيب • والأعسراب الأقحاح ، الفساظا مسخوطة ، ولا معانى مدخولة ، ولا طبعا رديبًا ، ولا عولاً مستكرها ، وأكثر ما تتجد ذلك فى خطب الموادين والمتكلفين وأهل الصنعة (٤١) •

ومن ثم يجب على الأديب أن يتخير ألفاظه ، ويتفقد منها ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال ، فإن الناس قد يستخفون ألفاظا ، يستعملونها ، وغيرها أحق بذلك منها(٤٢) •

٢ _ البعد عن التنافر:

أوصى الجاحظ البايع بتجنب الألفاظ التي فيها تنافر وثقل وتكلف واختيار دا كان منها سهل المخرج خفيفًا على اللسان ، وفي كلامه الذي سقناه آنفا تنبيهات على ذلك ، لأن البيسان يحتاج الى تمام الآلة ، واحكام الصنعة ، وسهولة المخرج ، وجهارة النطق ، وتكميل المحروف، واقاعة الوزن (٤٣) •

⁽۲۹) البيان والتبين ۲/۲ ، ۸ ، ۱۰

⁽٤٠) البيان والتبيين : ١١١/١ ٠

⁽٤١) السابق : ٢/٨، ٩ -

⁽٤٢) ألسابق : ٢٠//١٠ ٠

⁽٤٣) السابق ١٤/١ •

ومن أجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام بعض البلعاء اسقاط بعض الحسروف من كلامهم لا يصاحبها من هجنة بيانهم حتى استقام لهم ذلك على الدوام (٤٤) •

ولاهتمام الجاحظ بحسن البيان وبما يعترى الألفاظ من تنافر وثقل ، تحدث حديثا مفصلا عن عيوب النطق ، ومضارج الحروف ، وما يتلاءم منها وما يتنافر ، وبين أن من الحروف مالا يقترن في كلمة ، لما يحدث بسبب اقترانها من تنافر وثقل على اللسان فالجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين بتقديم ولا بتأخير والزاى لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضد ولا الذال بتقديم ولا تأخير (٤٥) وبذاك فتح الباب أمام اللغويين والبلاغيين للحديث عن الحروف ، وتلاؤما ، وتنافرها والأسباب التى تؤدى الى ذاك ،

وأجود الشعر عند الجاحظ ما كان متلاحم الأجزاء سهل المخارج، وحروف الكلام وإجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ، ملسا ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان وتكده ، والأحرى تراها سهلة لينة سلسة النظام خفيفة على اللسان حتى كأن البيت بأسره كامة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد (٤٦) ه

ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر ، وإن كان مجموعة فى بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها الا ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاءر: وقبر حرب بمكان تفسر وليس قرب قبر حرب قبر (٤٧)

⁽٤٤) السابق : ١١/٥١ ن

⁽٥٤) البيان والتبيين ١١٦٦٠٠

⁽٤٦) البيان والتبيين ١/٢٦ •

⁽٤٧) السابق : ١١١/٥٦ ٠

وبهذا يتأكد ما قلناه من دعوة الجاحظ الى انتقاء الألفاظ السهلة السلسة واجتناب المتنافرة الثقيلة •

٣ _ تجنب الفرابة والابتدال:

يرى الجاحظ أن ألفاظ البليغ يجب أن تكون وسطا بين الغرابة والابتذال . فيجتب الوحشى المتوعر ، والساقط العامى ، وفى ذلك يقول : وكما لا ينبغى أن يكون اللفظ عاميا ، وساقطا سهوقيا ، فكذلك لا ينبغى أن يكون غريبا وحشيا ، الا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا ، فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس ، كما يفهم السوقى رطانة السوقى (٤٨) .

والجاحظ حين ألوصى باجتناب الساقط والوحشى ، لم ير بأسا في استعمال البدوى للغريب ، لأنه لغته التى يفهمها ، ويجرى فيها على طبعه من غير تكلف ولا تعمل ، وقد تأثر البلاغيون من بعده بهذا كما مسنرى في عرضنا لآرائهم ،

وروى الجاحظ بعض ما يروى من كلام غريب جرى على السنة المتقعرين وعلق عليه بقوله: فإن كانوا انما رووا هذا الكلام لأنه يدل على فصاحة، فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحه، وإن كانوا انما دونوه في الكتب، وتذاكروه في المجالس لأنه غريب، فأبيات من شمعر العجاج وشعر الطرماح وأشعار هذيل، تأتى لهم مع حسن الرصف على أكثر من ذلك ٠٠٠٠ وهذا ليس من أخلاق المكتاب ولا من الدابهم (٤٩) •

وبهذا بين رأيه في الوحشي المتوعر ، وحت على اجتنابه لأنه اليس من سبيل الكتاب ولا من آدابهم •

[•] ١٤٤/١ السابق ١/٤٤١ •

⁽٤٩) السابق ١١١/٢٧٨ •

٤ ـ جريان اللفظ على المرف العربي:

أشار الجاحظ الى وجرب الالتزام بالعرف العربى واجتابي الملحون والمخالف للصواب ، مقال معلقا على كلام العتابي في وصفا البليغ والعتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ ، لميعن أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ ، لميعن أن كل من أفهمنا قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته ، والمصروف عن حقه ، أنه محكوم له بالبلاغة ، واتما عنى افهامك حاجتك على مجارى كلام العرب الفصحاء ، ومن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة واللكنة ، والخطأ والصواب، والاغلاق والابانة ، والملحون والمعرب ، كله سيواء ، وكله بيانا ، ولولا طول مخالطة السامع العجم وسيماعه كيف يكون ذلك كله بيانا ، ولولا طول مخالطة السامع المعجم وسيماعه للفاسد من الكلام أما عرفه (٥٠) ...

مبين أن اللفط ينبغى أن يسلم من اللحن ، والخطأ ، وأن يكون جاريا على كلام العرب الفصحاء ، ونفى أن يكون الخطأ والملحون ، والمغلق ، من قبيل البيان • ولا يصحح الحكم على الكلام بالبلغة استنادا الى الافهام وحده ، فنحن نفهم بحمحمة الفرس كثيرا من حاجاته ، ونفهم بضغاء السنور كثيرا من ارادته (٥١) •

ومما قدمناه نرى أن الجاحظ تناول أهم المسادى، فى فصاحة الألفاظ، وهذه المبادى، ظلت تدور على ألسنة البلاغيين من بعده، وتناولوها بالتحليل والتفصيل فى مؤلفاتهم ، كما سنرى خلال مسيرتنا معهم .

⁽٥٠) البيان والتبيين ١٦١/١ ، ١٦٢ ٠

⁽٥١) السابق ١٦٢/١ •

قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ه):

عرض قدامة فى كتابه « نقد الشعر » تنعوت الجرودة فى اللفظ فذكر أنه لابد أن يكون اللفظ سرمها ، سهل مخرارج الحروف من هواضعها ، عليه رونق الفصاحة ، مع الخنو عن البشاعة (٥٢) •

وتحدث عن عيوب النفيظ وهي: أن يكون ملحونا ، وجاريا على غير سبيل الاعراب واللعة ، وأن يركب الشياءر منه ماليس بمستعمل الا في الفرط، ولا يتكلم به الا شاذا ، وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته له ، وتتكبه اياه ، فقال : كان لا يتبع حوشي الكلام » (٥٣) •

وساق قدامة أمثلة للوحشى منها قول أبى حازم العكلى فى مطلع قصيدة له:

تذكر سلمي وأهلاسها فلم أنس والشوق ذو مطرؤه (٥٥)

والقصيدة تعج بالوحشى المتزعر ، وذكر قدامه كثيرا من أبياتها ، كما ذكر أمثلة أخرى لذلك •

ومن كلام تدامة السابق نرى أنه يجعل اللفظ الجيد ما خلا من تنافر الحروف ، والحوشية ، ومخالفة سبيل الاعراب واللغة • وهده العيوب سبق أن نبه عليها بشر بن المعتمر والجاحظ •

وبين قدامة أن القدماء يجوز لهم استعمال الوحشى ليس من أجل انه حسن اكن لأن من شعرائهم من كان أعرابيا قد غلبت عليه العجرفة، وللحاجة أيضا الى الاستشهاد بأشعارهم فى الغريب ، ولأن من كان

⁽٥٢) نقد الشعر: ٢٨٠

⁽٥٣) السامبق : ١٧٢ •

 ⁽٥٤) نقد الشعر : ١٧٣ • وأهلاسها : تبسمها الخفى • برمطرزه :
 من طرأ عليه الأمر اذا جاءه من حيث لا يعلم •

يأتى منهم بالوحشى أم يكن يأتى به على جهة التطلب له والتكلف لم يستعمله منه ، لكن لعادته وعلى سجية لفظه • فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عنه السمع (٥٥) •

غاجاز للقدماء استعمال الوحشى لأسباب طبعية فيهم ، فهم أعاب قد عليت عليهم الجفوة ، واستعمالهم الوحشى ليس على جهمة التكلف عواكن يجرون فيه على طبيعتهم وسجيتهم • وقد سبق الجاحظ الى ذلك (٥٦) •

وناحد على قدامة جعله الحاجة الى الاستشهاد بأشهار القدماء في الغريب من أسباب جوازه لهم • فهذا لا ينبغى أن يكون سببا في جواز استعمال العريب للقدماء ، لأنهم لم يستعملوه قاصدين ذلك ، والا كان تكلفا ينافر الطبع وينبو عنه السمع ، وقضية الاستشهادا بالغريب جاءت بعد قوله بزمان طويل فلا تجعل من أسباب قوله •

أبو هلال المسكرى (ت ٢٩٥ه) :

لم يحدد أبو هلال شروطا لفصاحة الكلمة ، ولكنه تكلم عن صفات الكلام الجيد فى غير موضع من كتابه ، شارحا اوصايا الحكماء والبلغاء ، أو موصيا الشعراء والخطباء ، ومن هذه الصفات ما يرجع الى الكلام .

فالكلام يحسن بسلاسته ، وسهولته ، ونصاعته ، وتخير لفظه ، واصابة معناه ، ٠٠٠ مع قالة ضروراته بل عدمها أصلاحتى لأ يكون لها في الألفاظ أثر(٥٧) .

واذا جمع الكلام العذوبة ، والجزالة ، والسهولة ، والرصانه ،

⁽٥٥) السابق: ١٧٢ ، ١٧٣٠

⁽٥٦) ينظر البيهان والتبيين : ١٤٤/١ ٢

⁽٥٧) الصناعتن : ٦١ •

مع السلاسة والنصاعة ، واشتمل على الرونق والطلاوة ، وسلم من حيف التأليف ، وبعد عن سماجة التركيب ، وورد على الفهم الشاقب ، قبله ولم يرده ، على السمع المصيب ، استوعبه ولم يمجه ، والنفس تقبل النطيف ، وتتبو عن الغليظ ، وتقاق من الجاسى البشع ٠٠٠ (٥٨) ، ومن تتبعنا لما أورده أبو هلال في الصناعتين بشان فصاحة الكلمة ، نرى أنه أكد على الأمور التالية .

۱ ــ تجنب وحشى الكلام وغريبه واستعمال سلسه وسهاه ، فقد أُدُواة على زهير قوله :

نقى تقى لم يكثر غنيمة بنهكة ذى القربى والا بحقاد

فاسبشعوا الحقلد ، وهو السىء الخاق ، وقااوا ليس فى لفسظ زهير أنكر هنه ، وساق أبو هلال أمثلة كثيرة للحرشى الذى يجب اجتنابه (٥٩) ،

وذم الذين يستجيدون الغريب ، ويمددون الكلام الدمن المتوعر ، عقد غاب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام اذا لم يقفوا على معناه الا بكد ، ويستفصدونه اذا وجدوا ألفاظه كرة لغليظة ، وجاسية غريبة ، ويستحقرون الكلام اذا رأوه سلسا عدبا وسهلا حلوا ، ولم يعلموا أن السهل أمنع جانبا ، وأعز مطلبا ، واهو أحسن موقعا ، وأعذب مستمعا ، ولهذا قيل : أجود الكلام السهل المتنع (٦٠) •

٢ - تجنب السوقى والمبتدل والمرذول (٦١) : فالمكلام اذا كان

⁽٥٨) السابق: ٦٣. ٠

٠ ٥٢ ، ٣٦ : ١٥٩) السابق : ٣٦ ، ٥٢ •

⁽٦٠) السابق: ٦٦ •

⁽٦١) الصناعتين: ٣٧

الفظه غثا ، ومعرضه رثا ، كان مردودا ، ولو احتوى على أجـل معنى وأنبله ، وأرفعه وأفضله (٦٢) •

وعلى هذا فالكلام المختار ما كان وسطا لا حوشية فيه ولا ابتذال، فينبعى على البليغ ألا يكون لفظه وحشيا بدويا ، ولا مبتذلا سوقيا ، بل يكون لفظه سهلا جزلا ، لا يشوبه شيء من كلام العامة ، والفاظ المشوية (٦٣) .

٣ ـ تجنب النتافر وصعوبة المضارج ، فعلى البليغ أن يتخير الألفاط من دروف سهلة المخارج ، لا غلظة فيها ولا جفاء (٦٤) ، فالنفس تقبل اللطيف ، وتنبو عن العايظ وتقلق من الجلسى البشع (٦٥) .

٤ ــ تجنب ارتكاب الضرورات • فمن عيــوب الاقــظ ارتكاب الضرورات ، كما قال المتلمس :

ان تسلكي سبل الوماة منجدة ما عاش عمرو وما عمرت قابوس

اراد ما عاش عمرو وما عمر قابوس (٦٦) • فارتكب الضرورة بتأنيث الفعل وهو المذكر • وشدد أبو هلال فى الحث على عدم ركوب الضرورات ، لقبحها ، واخلالها بغصاحة الكلام فقال : وينبغى أن تجتنب ارتكاب الصرورات وان جاءت فيها رخصة من أهل العربية ، فانها تشين الكلام وتدهب بمائه ، وان استعملها القدماء فى أشعارهم لعدم علمهم بقباحتها ، ولأن بعضهم كان صاحب بداية ، والبداية مزلة ، وما كان أيضا تنقد عليهم أشعارهم ، ولو قد نقدت ويهرج منها

⁽٦٢) انسابق: ٧٣٠

٠ ١٥٥ : السابق : ١٥٥٠

⁽٦٤) السابق: ٦٦ ، ١٤٧ ٠

⁽٦٥) السابق : ٦٣. •

⁽٦٦) السابق: ١١١٤

المعيب كما نتقد على شعراء هذه الأزمنة وييهرج من كلامهم ما فيه أدنى عيب لتجنبوها (٦٧) •

فأبو هلال لا يرخص فى استعمال الضرورات ، ولو جاءت فيها رخصة من أهل العربية ، واستعملها القدماء لأسباب :

- _ أنها تهجن الكلام ، وتعييه ، وتذهب بطلاه ته •
- _ أن القدماء لم يعلموا بقبحها ، وأو علموا ذلك ما وقعوا فيها ما
- ــ أن القدماء أصحاب بداية ، والمبتدى، معذور فيما يزل فيه •
- _ أن أشعار القدماء لم تكن نتقد فى حينها كأشعار المحدثين ، ولو كانت ننقد عليهم ما ارتكبوها .

ريضرب أبو هلال أمثلة لهذه الضرورات مشير الى ما فيها من مخافة • منها قول الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تنمى بما لاقت لبون بني زياد

فقال « ألم يأتيك » فلم يجزم •

وقال قعنب بن أم صاحب:

مهلا أعادل قد جربت من خلقى انى أجود لأقوام وان ضننوا ، فأظهر التضعيف •

وقال جميل :

اذا جاوز الاثنين سرفانه بنشر وتكثير الوشاة قمين مقطع ألف الوصل في « اثنين » (٦٨) ٠

فهذه الضرورات وما يجرى مجراها مكروهة الاستعمال (٦٩) ،

⁽۱۷) الصناعتن : ۱۵٦ •

⁽٦٨) السابق: ١٥٦ ، ١٥٧ •

⁽٦٩) السابق : ١٥٧ ٠٠

وينبغ اجتنابها ومثل هذا وجه المتماخرين الى أن يعتبروا فى الكلمة الفصيحة عدم مخاذفتها للقياس .

تجنب مشتركات الأنفاظ التي لا يعرف السامع مرادها من هلا يكون كمن إرياد الابائة عن معنى فياتى بألفاظ لا تدل عليه خاصة ، بل تشترك معه خاصة معان أخر ، فلا يعرف السامع أيها أراده وربما استبهم الكلام فى نوع من هذا الجنس حتى لا يوقف على معناه الا بالتوهم ، ومن ذلك قول أبى نواس :

وخبن ما يخبن من آخر منه وللطابن أمهار

الأمهار هاهنا جمع مهر بفتح الميم من قولهم: من يمهر مهرا ، والمصادر لا تجمع ، ولا يشك سامع هذا الكلام أنه يريد جمع مهر بضم الميم ميشكل المعنى عليه (٧٠) •

وقد سبق يحيى بن جعفر البرمكى الى الاشارة الى هذا الضابط في وصفه للبيان حيث بين أن اللفسط ينبغى أن يكون خارجا عن الشركة (٧١) • وقد بينا ذلك في حديثنا عنه •

على بن خلف الكاتب:

تكلم على بن خلف المتوفى فى منتصف القرن الخامس الهجرى عن فصاحة الألفاظ، وذلك فى كتابه « مواد البيان » الذى ألفه سنة ٤٣٧ هـ، فدعا الكاتب الى تخبر الألفاظ، وانتقاء الكلمات خالية من التوعر والابتذال والتتافر واللحون .

ويرى أن الأشياء التى تخرج الكلام عن أحكام البلاغة تنتظم في ثلاثة أقسام:

⁽٧٠) الصناعتين : ٣٨ _ ٤٠ .

⁽٧١) ينظر البيان والتبيين : ١٠٦/١ .

قسم يخص الألفاظ • وقسم يخص المعانى • وقسم يخص. المركب منهما •

فأما القسم الذي يخص الألفاظ غينقسم ثمانية أنواع:

وهى استعمال الحوشى والمناغر والملحون ، والاستعارتان القبيحة والمعيية ، والتعقيد ، والتطويل ، والتجميع ، والتكرير ، والمعاظلة ، والتحنيس المعيب .

وأما القسم الذي يخص المعانى فيتقسم عشرة أنواع ٠٠٠ وأما القسم الذي يخص التركيب من الألفاظ والمعانى فأحدد عشر نوعا ٠٠٠ (٧٢) ٠

وتحدث عن النوع الأول مما يخص الألفاط وهو: استعمال المحوشي والمنافر والملحون ، فقال : من عيوب الألفاظ أن تكون بشيعة مستوخمة قبيحة المخرج ، ثقيلة في المسمع ، حشية وحشية ، منافرة لما جرت به العادة في الاستعمال ، قد قصد فيها الى التقعر والتعمق ، والتفاصح والتشادق ، أو أن تكون ملحونة معدولا بها عن سبيل الاعراب ، والمذهب الذي بني عليه الكلام (٧٣) .

فبين أن من عروب الكامة: الغرابة والنيحشية ، والنتافر والثقل، ومخالفة ما جرت به العادة في الاستعمال ، واللحن ومضالفة العرف اللغدوي .

والأنفاظ عنده على ثلاثة أصرب:

ضرب متوعر حوشى معتاص ، لا يدرك ما يدل عليه حتى يعرب فيفسر ، وهذا واقع في الأشعار الجاهلية والخطب العربية .

⁽۷۲) مواد البيان ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

⁽٧٣) السابق : ٣٦٨ ٠ ...

وضرب فصيح جزل سهل ، سافر المطالع ، عذب المشارع ، مطابق. للمعانى أصح مطابقة ، دال عليها أقرب دلالة ، وهو الذى تخيره البلغاء لرسائلهم ، واستعملوه فى كتبهم •

وضرب مبتدل سوقى ، ساقط عامى ، وهو ما يقع فى المخاطبات والمكاتبات الدائرة بين العوام الذين لا تنقاد طباعهم الى تأليف المكلام .

وينبغى على البليغ أن يسلك فى الألفاظ مذهب التوسط الذى سلكه من تقدمه من أهل هذه السناعة ، غانه الاعتبدال ولا شيء أعضل من الاعتبدال (٧٤) •

فالمختار عنده من صروب الكلام الثلاثة هو الضرب الوسط، لأنه مذهب التوسط والاعتدال الذي سلكه البلغاء البارعون في صلاعة الأدب والكتابة ، وقد رسم الطريق الى ذلك وبينه فقال : والطريق الى ذلك الما هو بتنخل الأسماء وتصاريف الافعال ومصادرها : لأنها متى اعتدات مخارجها وتبدل اللسان بها ، ولطفت في ذواتها ، وكثرت في استعمال الخاصة ، حسن جرسها في السمع ، وخفت على النفس، ومتى كانت متنافرة المخارج ، ثقيلة على اللسان ، مستكرهة في ذاتها ، وغريبة في الاستعمال ، أبتها الطباع ، ومجتها الأسماع ، وببت عن التأليف (٧٥) .

ومما سقناه من كلام ابن خلف نرى أن فصاحة اللفظة عنده أن تسلم من هده العيوب:

١ ـــ الوحشية والغرابة •

⁽٧٤) مواد البيان : ١٠٧٠-١٠

⁽٧٥) المسابق: ١٠٨، ١٠٩٠ .

قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ه):

عرض قدامة فى كتابه « نقد الشعر » لنعوت الجهودة فى اللفظ فذكر أنه لابد أن يكون اللفظ سهما ، سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة ، مع الخنو عن البشاعة (٥٢) •

وتحدث عن عيوب اللفيظ وهي : أن يكون ملحونا ، وجاريا على غير سبيل الاعراب واللعة ، وأن يركب الشياءر منه ماليس بمستعمل الا في الفرط، ولا يتكلم به الا شاذا ، وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيرا بمجانبته له ، وتنكبه اياه ، فقال : كان لا يتبع حوشي الكلام » (٥٣) •

وساق قدامة أمثلة للوحشى منها قول أبى حازم العكلى فى مطلع قصيدة له:

تذكر سلمي وأهلاسها فلم أنس والشوق ذو مطرؤه (٥٥)

والقصيدة تعج بالوحشى المتزعر ، وذكر قدامه كثيرا من أبياتها ، كما ذكر أمثلة أخرى لذلك •

ومن كلام عدامة السابق نرى أنه يجعل اللفظ الجيد ما خلا من تنافر الحروف ، والحرشية ، ومخالفة سبيل الاعراب واللغة ، وهده العيوب سبق أن نبه عليها بشر بن المعتمر والجاحظ ،

وبين قدامة أن القدماء يجوز لهم استعمال الوحشى ليس من أجل انه حسن اكن لأن من شعرائهم من كان أعرابيا قد غلبت عليه العجرفة، وللحاجة أيضا الى الاستشهاد بأشعارهم فى العربيب ، ولأن من كان

⁽٥٢) نقد الشعر: ٢٨٠

⁽٥٣) الساءيق: ١٧٢٠

 ⁽٥٤) نقد الشعر : ١٧٣ • وأعلاسها : تبسمها الخفى • برمطرؤه :
 من طرأ عليه الأمر اذا جاءه من حيث لا يعلم •

وقد بدأ ابن سنان مدينه عن الفصاحة ببيان معناها اللغوى وهو : الظهور والبيان ، رأورد الشواهد الدالة على ذلك ، ثم تطرق الى الفرق بين الفصاحة والبلاغة فقال : الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، وابلاغه لا تكون الا وصفا للالفاظ مع المعانى • فلا يقال فى كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة ، وان قيل فيها فصيحة • وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغا ، كالذى يقع فيه الاسهاب فى غير موضعه (٧٩) •

فالفصاحة عنده وصف للألفاظ مجردة عن معانيها التركيبية التركيبية بها الكلمة والكلام ، والبلاغة وصف للألفاظ مع المعانى التركيبية التى يقع فيها التفاضل ، ومن ثم لا تقع الا وصفا للكلام ، ولا تكون وصفا للكلمة المفردة • والمكلام البليغ لابد أن يستوفى شروط الفصاحة ، ومن ثم لا يكون الكلام البليغ الا فصيحا أما الكلام الفصيح فيمكن أن يكون غير بليغ كالمكلام الذى فيه أسهاب وتطويل ، فيو وان كان فصيحا الا أنه غير بليغ ، لعدم مطابقته المقام الذى يتطابه •

وقد تأثر ابن الأثير والخطيب القزويني بهذا الفرق الذي ذكره ابن سنان كما سنري بعد ذلك •

وقد ذكر ابن سنان لفصاحة اللفظة المفردة شروطا ثمانية وفصل المديث في كل منها •

الشرط الأول: أن يكون تأليف تلك اللفظة من حروف متباعدة المخارج ٠٠٠ وعله هذا أن الحروف التي هي أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر ، ولائسك في أن الألوان المتباينة اذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ، ولهذا كان البياض.

⁽٧٩) سر الفصاحة: ٤٩ ، ٥٠ ·

مع السواد أحسن «نه مع العسفرة ، لقرب ما بينه وبين الأصفر ، وبعد ما بينه وبين الأسود ، واذا كان هذا موجودا على هذه الصفة ، لا يحسن النزاع فيه ، فالعلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحسروف المتباعدة كالعلة في حسن النقوش اذا مزجت من الألوان المتباعدة (٨٠) .

والتأليف من الحروف المتباعدة كثير ، وجل كلام العرب عليه ، أما التأليف من الخروف المتقاربة ، فمثاله لفظ « العهضع » ، ولحروف المحلق مزية فى القبح اذا كان التأليف منها فقط ، وأنت تدرك هذا وتستقبحه . كما يقبح عندك بعض الأمزجة من الألوان ، وبعض النغم من الأصلوات(٨١) •

وتأليف الحروف ثلاثة أقسام: الأول: تأليف الحروف المتباعدة وهو الأحسن المختار، والثانى: تضعيف هذا الحرف نفسه، وهو يلى هذا القسم فى الحسن، والثالث: تأليف الحروف المتجاورة، وهو ما قليل فى كلامهم، أو منبوذ رأسا، وذلك لصعوبة الكلمات التى نتقارب مخارج حروفها، وظهور الكلفة حال التافظ بها، ومن ثم فلا يكاد يجى، فى كلام العرب ثلاثة أحرف من جنس واحد فى كلمة واحدة، لحزونة ذلك على ألسنتهم وثقله، ومن الحروف التى لم يتركب فى كلامهم بعضها مع بعض: الصاد والسين والزاى، فليس فى يتركب فى كلامهم بعضها مع بعض، الصاد والسين والزاى، فليس فى كلام العرب مثل: سم ، ولاصس، ولاسنز ، ولازس، ولأزص، ولاصنيز (٨٢).

فبين أن أول الشروط في فصاحة الكلمـة أن تؤلف من حـروف متباءدة المخارج ، لأن تقارب المخـارج يؤدى الى الثقل ، وقـاس

⁽٨٠) سر الفصاحة: ٥٤ •

⁽٨١) سر الفصاحة: ٥٥ ٠

⁽۸۲) السابق: ۲۸ ، ۶۹ •

تباعد محارج الحروف وتقاربها على تباين الألوان المجتمعة وتقاربها، وهو فى نظرى قياس غير دقيق، لأن الألوان المتباعدة لا يحسن اجتماعها فى كل الأحوال، وأهل الفن يستحسنون الألوان المتقاربة لااتناسبة، التى ليس بينها تفاوت كبير، فهذا التفاوت يقبح فى العين الما يصاحبه من انتقال مفاجى، يبهرها، ويقلل التركيز، فلا تستمتع الله عين بالألوان و

وقد اعترض ابن الأثير على هذا القياس، وقال: اذا كان الخفاجى قاس حاسة السمع على حاسة البصر للتناسب بين الحواس ، فان القياس يستقيم لو توقف عرفان جودة اللفظة على سماع أصوات مخارجها ، كما يتوقف في عرفان حسن الألوان على ابصارها ورؤيتها ، وانما قد يعلم جودة اللفظة ، ويعرف حسن تركيبها من غير أن يسمع لها صوت ، وذلك بالتأمل في الكلام المكتوب ، والعلة التي يمكن ذكرها في ذلك : أن الفائدة في الأشياء المركبة ، انما هي اختلاف أجزائها ، وتباين مفرداتها ، ليؤثر التركيب عند ذلك شيئا لم يكن ، اما حسنا واما قبحا ، فأما أذا كانت أجراؤها مشابهة بعضها البعض ، فأنه لا يكون لتركيبها حينئذ كبير فائدة ، وحيث كانت في الحال في الأشياء المركبة كذلك ، قسنا عليه تركيب مخارج الحروف ، فمتى كانت الكلمة مركبة من حروف متقاربة المخارج جاءت مركبة من حروف متقاربة المخارج جاءت بخطرف ذلك في الغالب أيضا (۱۸) ،

وقد اعترض «الطوفى» على ابن الأثير فى رده لكلام ابن سنان، وقال انه اما لم يصل الى معزى كلامه ، أو أنه عائده ليفسد قولة ويصحح قول نفسه ٠٠٠ وقياس بعض الحواس على بعض وان لم

⁽۸۳) الجامع الكبير: ۳۸ ، ۳۹ •

يكن لازما ، لكنه مناسب مناسبة قوية ، ومجرد المناسبة كاف فى هذا العلم . اذ ليس من العقليات القطعية حتى يعتبر فيه الأزوم القاطع ولا نسلم ادراك جودة اللفظ بدون سماعه ، وانما يدرك جودة معناه ، لأن آلة ادراكه العقل ، فاشتبه عليه أحد الادراكين بالآخر(٨٤) .

ثم بين الطوفى أن توجيه الحفاجى مبنى على قاعدة لطيفة ، وهي أن الحواس الخمس بمنزلة الجواسيس للنفس ، ياقي اليها ما تدركه، وقد علمنا بالطبع أن النفس ترتاح للأخبار المستغربة المتباينة ، وتمل وتمج الكلام المعاد ٠٠٠ ولاشك أن الحروف المتقارية في معنى المعادة المتماشة ، ولهذا وقع الادعام في المتماثلين ، والمتقاربين ، فثبت أن السمع والنفس تجافيان متقارب الحروف وتملانه ، كما يملان تكرار الحرف الواحد من المخرج الواحد ، لما في ذلك من ثقل التلفظ (٨٥) .

وقد سبق ابن جنى الى بيان أن الحرفين اذا تقاربا فى مخرجيهما قبح اجتماعهما ، ولاسيما حروف الحلق (٨٦) • وبين أن العرب يستحسنون تركيب ما تباعدت مخارجه من الحروف ، نحو الهمزة والنون ، والحاء والباء مثل : أن ، ونأى ، وحب ، وبح ، ويستقبحون تركيب ما تقارب من الحروف ، وذلك نحو : طس ، وسص ، وطث ، ونط ، ويؤثرون فى الحرفين المتباعدين أن يقربوا أحدهما من صاحبه ، ويدنوه اليه ، وذلك نحو قولهم فى سويق : حسويق ، وفى السوق : الصوق • • • وتحو ذلك مما أدنى فيه الصوتان أحدهما من الآخر (٨٧) •

ويفهم من كلامه أن المستحسن عندهم ما توسطت مخارجه بين القرب والبعد ، فام تكن شديدة القرب ، ولا شديدة البعد .

⁽۸٤) الأكسير : ۷۲ ، ۷۶ ۰

⁽۸۰) السابق: ۷۰

⁽٨٦) سر صناعة الاعراب: ١/٥٧ ٠

⁽۸۷) الخصائص : ۲۲۷/۲ ۰

وقد بين الرماني أن التنافر يرجع الى تقارب مخارج الحسروف الو تباعدها بعدا شديدا ، وحكى ذلك عن الخليل بن أحمد ، وذلك لأنه ادا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، واذا قرب القسرب الشديد كان بمنزلة مشى القيد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان وريده الى مكان ، وكلاهما صعب على اللسان ، والسهواة في ذلك في الاعتدال (٨٨)،

واعترض عليه الخفاجى فى ذلك ، لأنه يرى أن قرب المضارج سبب فى انتنافر ، لا بعد المخارج ، واستدل على صحة رأيه بوجود كلمات مبنية من حروف شديدة التباعد ، ولا تنافر فيها مثل « ألم » فالهمزة من أقصى الحق ، والميم من الشفتين ، واللام متوسطة بينهما، وكذلك « أم » و « أو » ، ولو كان بعد المخارج يوجب ثقللا لكانت هذه الكلمات وما أشبهها متنافرة (٨٩) .

وحجة ابن سنان واهية ، ويمكن بواسطتها اسقاط ما ذهب اليه ابن سنان نفسه من أن تقارب الخارج سبب فى التقافر ، اذ توجسد كلمات حروفها متقاربة المخارج ولا تتافر فيها ، كما فى «جيش وشجى » فالجيم والياء والشين مخارجها متقاربة ، ويطلق على ثلاثتها « الشجرية » ومع ذلك لا تنافر فى الكلمتين المكونتين منها •

وعلى هذا نرى أن الذوق هو الذى يبحكم بالتنافر أو التلاؤم ، وأن كل ما فيه نتافر تكون حروفه متقاربة المخارج أو متباعدة ، وليس كل ما كان قريب المخارج أو متباعدها يكون من المتنافر ، والحكم بالتنافر اعتمادا على قرب المخارج أو تباعدها حكم مبنى على الغالب،

الشرط الثانى " أن تجد لتأليف اللفظة فى السمع حسنا ومربهة على غيرها ، وإن مساويا. فى التأليف من المجروف المتباعدة ، كما أنك على غيرها ، وإن مساويا.

٠ (٨٨) النكت : ٦٥٠٠

⁽٨٩) سر الفصاحة : ٩١ .

تجد لبعض النغم والألوان حسنا يتصور في النفس ، ويدرك والبعد والسمع دون غيره مما هو من جنسه .

ومثاله فى الحروف: «عذب» فان السامع يجد لقولهم : « العذيب » اسم موضع و «عذيبة » اسم امرأة ، و «عذب» و «عذاب» و «عذبت » مالا يجده ميما يقارب هذه الأنفاظ فى التأليف ، وليس سبب ذلك بعد الحروف فى المخارج فقط ، والكنه تأليف مخصوص مع البعد ، ولو قدمت الذال ، أو الباء ، لم تجد الحسن على الصفة الأولى فى تقديم انعين على الذال ، لضرب من التأليف فى النعم يفسده التقديم والتأخير ،

وليس يخفى على أحد من السامعين أن تسمية الغصن غصان الموقة أو فننا ، أحسن من تسميته عسلوجا ، وأن أغصان البان أحسن من عساليج الشوحط في السمع (٩٠) .

فالشرط الثانى عند ابن سنان مرجعه الى السمع ، الذى يجده قبولا لبعض الألفاظ دون بعض ، وإن تساوت فى كونها مؤلفة من حروف متباعدة المخارج ،

ويرى الخفاجى أن استحسان السمع أو استهجانه لبعض الألفاظ، صفة لا تعرف لها علة ولا سبب، سوى أن اللفظة جاءت مؤلفة على نمط خاص، ينقى لدى السمع استحسانا أو استهجانا و وهذا مقيس على النغم والالوان، حيث يفضل الزاج بعضها على الآخر الذى هو من جنسه و

ومثل ابن سنان لما يكره في السمع بقول أبي الطيب:

مبارك الاسم أعز اللقب جريم الجرشي شريف النسب

⁽٩٠٠) شر الفصاحة : ٥٥ والشوحط : شنجر يتكنَّا منه القسي ٣

ففى لفظ « الجرشى » أى النفس ، ثقل يكرهه السمع ، وينبوا عنه ، ومثله ما فى قول زهير:

تقى نقى لم يكثر غنيمة بنكهة ذى تربى ولا بحقلد غالحقلد – آى البخيل الضيق – كلمة توفى على قبح « الجرشى » وتريد عليها (٩١) •

ويرى محمد بن على الجرجاني أن المزية في نحو: عذب ، وغصن ، وهواح ، معللة بعلتين:

الأولى: أن كل واحد مركب أعدل تركيب ، وهو الثلاثى ساكن الأوسط ، حرف للابتداء به ، وحرف للاعراب والوقف عليه ، وحرف للفصل بينهما ، ولا يحتاج الفاصل الى حركة .

والثانية أن كل واحد مركب من حروف متباعدة في المخرج ، مرتبة فيه على سمت واحد ، وحركة واحدة للآلة ، فان العين من أسفل المخارج وهو الحلق، والذال من أوسطها والباء من أعلاها ، وكذلك الغصن ، وأما فوج : فترتيب حروفه في المخرج بالعكس ، فان الفاء من أعلى المخارج ، والواو من أوسطها ، والحاء من أسفلها ، ولو قدم الذال على العين في عذب ، وقيل : ذعب ، احتاجت الآلة الى حركتين المذال على العين في عذب ، وقيل : ذعب ، احتاجت الآلة الى حركتين احركة من أوسط المخارج الى أسفلها ، وحركة من أسفلها الى أعلاها ، ولذلك تثقل ، ولا يكون له ذلك القبول في السمع ، وكذلك القول في غصن وفوح (٩٢) ،

وهده تأملات صوتية دقيقة تجلى مزايا الكلمات ، وأسرار حسنها والبلاغيون في مسيس الحاجة اليها .

⁽۹۱) السابق : ۵۱ • (۹۲) الاشارات والتنبيهات : ۱۰ •

وفى نظرنا أن استحسان السمع أو استهجانه الفظ يرجع الى صفات فى اللفظ نؤدى الى ذلك ، ككون اللفظ متلائما أو متساغرا ، مألوغا أو وحشيا ، ونحو ذلك ، ومن ثم فجعل استحسان السمع للفظ من شروط الفصاحة لا محل له مع وجود الشروط الأخرى ،

الشرط الثالث: أن تكون الكلمة غير متوعرة ولا وحشية ، وقد نسب هذا القول الى الجاحظ • ومثل للوحشية بأمثلة كثيرة منها قول أبى تمام:

القد طلعت في وجه مصر بوجهه بلا طائر سعد ولا طائر كهل

فان كهلا ههنا من غريب اللغة ، وقد روى أن الأصمعى لم يعرف هذه الكلمة ، وقيل انها بمعنى الضخم ، وكهل لفظة ليست بقبيدة التأتيف لكنها وحشية غريبة لا يعرفها مثل الأصمعى .

ومنها ما روى عن علقمة النحوى من قوله : ما أكم تتكأكئون على تكأكؤكم على دى جنة ؟ افرنقعوا عتى • مان تتكأكئون وافرنقعوا وحشى ، وقد جمع العلتين نقبح التأليف الذى يمجه السمع والترعر (٩٣) والمقصود بقبح التأليف ما عرف عند البلاغيين المتأخرين بتنافر الحروف وقد احترز عنه ابن سنان بالشرط الأول •

ومنها هول العجاج

وفاحما ومرسلها مسرجا

فان ألرسن الأنف ، والمصرح لا يتعرف ، حتى غورج له أنه أراد بالمسرح المحدد ، من قولهم للسهوف : المسريات ، منسوبة الى قين. يعرف بسريج ، وهذا القصد على ما تراه وحشى غرهب (٩٤) .

⁽۹۳) سر النصاحة ٦٥ . ١٥٠ ·

⁽٩٤) السابق: ٦٠:

7

وضرب الخفاجى أمثلة كثيرة مما وقع فيه الشعراء من استعمال اللحوشى والمتوعر ، مؤكدا على أن الفصاحة هي الظهور والبيان ، وليست العموض والخفاء (٩٥) .

وختم حديثه فى هذا الشرط ببيان أن البدوى صاحب الطبع فى هذا الفن أعدر من القروى المتكلف، الأن القروى لا يبعرف البيحشى الا بعد البحث والطلب ، وتجشم العناء فى التصفح ، وعلى تسدر ذلك يجب لومه والانكار عليه (٩٦) ، وقد سبق الجاحظ الى بيان ذلك فقال : لا ينبعى أن يكون اللفظ غربيا وحشرا الا أن يكون المنكام بدويا أعرابيا ، فأن الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس ، كما يفهم السوقى رطانة الدوقى (٩٧) ،

ومما يدخل فى الغرابة لأنه يسبب غموض الكلام على المسامع ، الأسماء المستركة كالصدى الذى هو العطش والطائر والصوت الحادث في بعض الأجسام ، فمثل هذا لا يحسن الا اذا كان فى الكلام دايك على المصود ، مثل قول أبى الطيب :

ودع كل صوت دون صوتى فاننى أنا الطائر المحكى والآخر الصدي

فان الصدى ههنا لا يشكل بالصدى الذي هو العطش ، ولا يسبق الذلك الى نهم أحد من السامعين ، فأما ان كان ذلك في موضع يشكل فليس بموافق للفصاحة (٩٨) •

الشرط الرابع : أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية ، ونسب هذا الى الجاحظ ، وذكر أمثلة للعامي الساقط منها قول أبي تمام :

⁽٩٥) السابق: ٦١ ·

⁽٩٦) السابق: ٦٣٠

⁽٩٧) البيان والتبيين : ١٤٤/١

^{«(}٩٨) سر الفصاحة : ٩١٥ ·

د جايت والموت مبد حر صفحته وقد تفرعن في أفعاله الأجل.

غان « تتفرعن » مشتق من اسم فرعون وهو من ألفاظ العامة ، وعادتهم أن يقولوا تفرعن فلان اذا وصفوه بالجبرية •

ومنها قول ابن نباته:

أقام قوام الدين زيغ قناتة وأنضج كي الجرح وهو مطير

فتأمن لفظة « فطير » تجدها عامه بَ مبتــنالة ، وان كانت وقعت هنا موقعا لو كانت فصيحة هجنها ، وأذهب طلاوتها (٩٩) ٠

وساق الخفاجي أمثلة كثيرة للعامي البتدل ، واحتد في لوم المشعراء على استعماله مع أنه لا يتعدر عليهم تبديله بالفصيح ويرى أن الأولى طرح البيت كله ، بل والقصيدة كلها ان لم يكن الشاعر قادرا على تبديل كلمة في بيت من شعره (١٠٠) .

ونلحظ أن الخفاجى نسب هذا الشرط والذى قبله الى الجددا فقد نبه على ذلك ومن كلامه وكما لا ينبغى أن يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا ، فكذلك لا ينبغى أن يكون غريبا وحشيا (١٠١) ... وهذا مما تأثر فيه الجاحظ ببشر بن المعتمر في صحيفته حيث حذر من التوعر ، فإن الترعر يعلم الى التعقيد الذين يستهلك المعانى ويشد ين الألفاظ ، وحث البليغ على أن يكسو معانية الألفاط الواسطة التي لا تلطف عن الدهما، ، ولا تجفو عن الأكفاء (١٠٢) .

⁽٩٩) سر الفصاحة : ٦٣ ، ٦٤ -

⁽۱۰۰) السابق : ٦٥ ٠

⁽١٠١) البيان والتبيين ١/٤٤ ٠

⁽۱۰۲) البيان والتبيين : ١/٥٣٥ ، ١٣٦ .

الشرط المخامس: أن تكون السكامة جارية على العسرف العربى المصحيح مير شادة ، ويدخل في هذا على ما ينكره أهل اللغسة ، ويرده علماء النحى ، من التصرف الفاسد في الكلمة (١٠٣) •

وذكر ابن سنان أشكالا متعددة لهذا الفساد هي :

(أ) أن تكون اللفظة غير عربية ، كما في قول أبي الشيص :

وجناح مقصوص تحيف ريشه ريب الزمان تحيف المقراض

فقد أنكروا عليه كامة « المقسراص » وقسالوا ليست من كلام التعسرب (١٠٤) •

رب) أن يعبر بالكلمة عن غير ما وضعت له فى عرف اللغة كما في قرل أبى نتمام:

حلت محل البكر من معطى وقد زفت من المعطى زفاف الأيم

موضع الأيم مكان الثيب وليس الأمر كذلك فى كالم العرب النما الأيم التى لا زوج لها ، بكرا كانت أو ثبيا ، قال الله عز وحل : لا وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم » وليس مراده تعالى نكاح الثبيات من النساء دون الأبكار ، وانما يريد النساء اللواتى لا أزواج لهن (١٠٥) ،

﴿ جِ ﴾ أن يكرن في الكلمة هذف ، كما قال رؤية :

قواطنا مكة من ورق الحمـــا

يريد: الحمام • وكما قال النجاشى ؟

علست بآتب ولا استطيعه ولاك إسقني أن كان ماؤك ذا فضل

⁽۱۰۵،۱۰۶،۱۰۳) سر الفصاحة ۷۷ ، ۸۸ ۰

يريد : ولكن اسقنى (١٠٦) .

(د) أن يكون في الكلمة زيادة ، وذلك كأن تشبع الحركة فيها في في الكلمة : فتصير حرفا كما في قول ابن هرمة :

وأنت على الغواية حين ترمى وعن عيب الرجال بمنتزاح يريد: بمنتزح ، وكما في قول الفرزدق:

تنفى يداه! الحصافى كل هاجرة نفى الدراهيم تنقاد اصياريف يريد: الدراهم والصيارف ((١٠٧) •

(ه) أن تورد الكلمة على الوجه الشاذ القايل • كما في قدول البحتري

متحيرين فباهت متعجب مما يرى أو ناظر متأدل فقوله: « باهت » للعة رديئة شاذة ، والعربى المستعمل: بهت الرجل يبهت فهو هبهرت ، وكما في قول المتنبى .

(و) أن تكون الكلمة على خلاف الصيغة الصحيحة في الجميع أو غيره ، كما في قول الطرماح:

وأكره أن يعبب على قومى هجاى الأرذلين ذوى احنات فجمع « احنة » على غير الجمع الصحيح ، لأنها احنة واحن ، مولاً يقال : حنات (١٠٩) •

- 1

[·] ٦٩ : السابق : ٦٩ •

⁽۱۰۸،۱۰۷) السابق: ۷۰ ، ۷۱ •

⁽۱۱۱،۱۱۰،۱۰۹) منز الفضاعة : ۷۲ •

(ز) أن يبدل حرف من حروف الكلمة بغيره كما في قول الشاعر : لها أشارير من لحم متمرة من الثعالى ووخز من أرانيها يريد : من المثعالب وأرانبها (١١٠) •

(ح) اظهار التضعيف في الكلمة ، كما في قول قعنب بن ضمرة : معلا أعادلَ قد جريت من خلقي انبي أجيد لأقوام وان ضننوا (١١١) يريد : ضنوا ، ففك الادغام .

فهذه الألوان من المذالفات تؤدى الى عدم فصاحة الكلمة ، الأنها تكون غير جارية على العرف العربي المصحيح .

وهناك ألوان أخرى من المخالفات لا تؤثر فى فصاحة الكلمة تأثيرا كبيرا ، ولكن ابن سنان يؤثر صيانة الكلمة عنها ، الأن الفصاحة تنبىء عن اختيار الكلمة وحسنها وطلاوتها ، وهده الأمور صفات نقص فيها ، فيجب اطراحها (١١٢) •

ومن هذه الأمور : صرف مالا ينصرف ، ومتع المصرف مما ينصرف ، ومتع المصرف مما ينصرف ، وقصر المهدود ، ومد المقصور ، وحدف الاعراب للضرورة ، وتأنيث المذكر على بعض التاويل ، وتذكير المؤنث ، وما جسرى مجرى ذلك مما يعده اللغويون من الضرورات الشعرية (١١٣) ،

وبين الخفاجى أن هذه الضرورات يحتلف قبحها فى بعض المواضع عون بعض ، على قدر التأويل فيه وحسكمه (١١٤) • وهسذا يعنى أن الضرورة اذا اشتدت الحاجة اليها ، وكان لها مخرج وتأويل قلت درجة قبحها ، وكانت مستساغة ، أما اذا جاءت على خلاف ذلك كانت قبيحة •

⁽١١٢) السابق: ٧٤ •

⁽۱۱۳) ينظر السابق: ۷۳ •

⁽١١٤) سر الفصاحة: ٧٤ •

وقال السبكى: أطلق الخفاجى أن صرف المنصرف وعكسه فى الضرورة مخل بالفصاحة (١١٥) ، وهذا غير دقيق ، فكلام الخفاجى واضح فى أن هذه الضرورات لا تؤثر كثيرا فى فصاحة الكلمة ، وان كان يؤثر صيانة الكلام عنها .

ولا شك فى أن الخفاجى استفاد فى هذا الشرط من أبى هــلال المسكرى الذى سبق الى اعتباره فى غصــاحة الكلمة ، وضرب أمثلة لبعض الضرورات ، ومنها ما ذكره الخفاجى فى أمثلته (١١٦) •

الشرط السائس: ألا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره ، فاذا أوردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت ، وان تكملت فيها الصفات السابقة • ومثال هذا قول عروة بن الوراد:

فلت لفوم في الكنيف تروهــوا عشية بنتا عند ماوان رزح

والكنيف أصله السائر ، غير أنه استعمل فى الآبار التى تلستر الحدث وتسهر بها • ومن ثم فاستعمال هذا اللفظ مكروه ، وان كان لا يقصد به هذا المعنى (١١٧) •

ومنه قول الشريف الرضي :

سلام على الأطلال لا عن جنابة ولكن يأسا هين لم ييق مطمع .

فان « جنابة » هنا لفظة غير مرضية للوجه المذكور ، وان كانت الولا ذلك غصيحة مختارة لخلوها من العيوب غيره (١١٨) .

ومنه قول الشريف الرضى رحمه الله :

⁽١١٥)، عروس الأفراح : ١/٨٩ ٠٠

⁽١١٦) الصناعتين: ١٥٦ ، ١٥٧ .

⁽۱۱۷)، سر الفصاحة: ۷۵ م مارس: را

⁽۱۱۸) السابق: ۷۷ •

اعزز على بأن أراك وقد خات من جانبيك مقاعد المعراد فايراد مقاعد في هذا البيت صحيح ، الا أنه موافق لما يكره ذكره في مثل هذا الشأن لا سيما وقد أضافة الى من يحتمل اضافته اليهم وهم المواد ، ولو تفرد كان الأمر فيه سهلا ، فأما اضافته الى ما ذكره ففيها قبح لا خفاء فيه (١١٩) .

ويبعذر الخفاجى المتقدمين كعروة بن الورد ، وعمرو بن معد يكرب ، وعيرهما ، في استعمال بعض هذه الألفاظ ، لجدواز أن يكون الاستعمال المكروه للكلمة حدث بعدهم (١٢٠) •

ومما يمكن الدخاله في هذا الشرط وان كان لا يلاحظ الا في التأليف: ألا يعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم ، ولا في الذم بالألفاظ المعروفة للمدح ، بل يستعمل في جميع الأغراض الألفاظ اللائقة بذلك الغيرض •

ومن هنا ميب قول أبي نواس :

جاد بالأموال حتى حسبوه الناس حمقا ، أب تمام :

وقول أبى تمام :

مارال یهذی بالمکارم دائیا حتی ظننا آنه محموم لأن الحمق ، ویهذی ، ومحوم ، من الألفاظ التی تستعمل فی الذم ، ولیست من آلفاظ الدح (۱۲۱) .

الشرط السابع: أن تكون الكلمة معندلة غير كثيرة الحروف ما فانها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وبعه من وجوم الفصاحة .

⁽١١٩) السابق: ٥٥ ، ٧٦ ٠

⁽١٢٠) السابق: ٥٥ ، ٧٧ ٠٠

⁽١٢١) سر الفصاحة: ١٥٣، ١٥٤،

ومن هذا قول أبي تمام .

فلاذربيزجان الختيال بمسدها كانت معسرس عبرة وتكال سحجت ونبهنا على استسماجها ما حولها من نضرة وجمسال

فقوله « فلاذربيجان » كلمة رديئة اطولها وكثرة حروفها ، وهي غير عربية ، ولكن هذا وجه قبحها ، وكذلك قوله « استسماجها » ردى الكثرة الحروف ، وخروج الكلمة بذلك عن المعتاد في الألفاظ الى الشافيا النسادر •

ومن هذا قول المنتبي "

ان الكريم بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها «١٢٨) • « فسويداواتها » كلمة طويلة جدا ، ولذلك لا أختارها (١٢٨) •

الشرط الثامن: أن تكون الكامة مصغرة في موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف أو خفى أو قليل أو ما يجرى مجرى ذلك ، فان صغرت في موضع التعظيم وإحوه كانت غير فصيحة ، وعلى هذا استحسن ابن سنان المتصغير في قول الشريف الرضى :

يولع الطل بردينا وقد نسمت رويحة الفجر بين الضال والسلم لأن الربيح المقصودة هنا النسيم وهو ضعيف ، ومن ثم حسنت العبارة عنه بالتصغير ، وكان للكلمة طلاوة وعذوبة ،

كما استقبح التصغير في قول ابي الطيب :

أحاد أم سداس فى أحاد لييلننا المنوطة بالتتادى

⁽۱۲۲) سر الغصاحة: ۷۸ -

لا تصفیر « لیباتنا » تصفیر تعظیم • وهو ما یعده مضلا بالفصاحة (۱۲۳) •

واستند ابن سنان فى استقباح تصغير المتخطيم لوأى المرب الذى أنكر هذا اللون من التصغير وقال أن التصغير فى كالام العرب لم يدخل الا لنفى التعظيم و واذا استعمل التصغير للتحقير والتعظيم معا فقد زالت الفائدة به ، ولم يكن دليلا على واحد منهما ، بل يرجع الى المقصود باللفظة ، وياتمس بيان ذلك من جهة المعنى دون اللغظ ، فليس للتصغير تأثير ،

والخفاجى معال فى امكان تصعير التعظيم واعتباره مخلا بالفصاحة ، لوجوده فى الشعر العربى ، واجازة أكثر اللغويين له ، والاعتداد به فى معانى التصعير .

وبتفصيل الشروط الثمانية السابقة ، ينتهى حديث الخفاجى عن فصاحة اللفظة المفردة ، وحديثه يعدد طور الكمال فى بحث هدذا الموضوع ، وقد جذب من جاءوا بعده فداروا فى فلكه ماخصين له أو شارحين أو معقبين ، ولم يزيدوا شيئا أساسيا فى هدذا الموضوع كما سترى فى الفصل التالى •

وفى ختام هذا الفصل ينبغى أن نشير النى أن الامام عبد القاهر المرجانى ت ٤٧١ ه لم يفصل الكلام فى مقاييس فصاحة الكلمة على الموجه الذى قصدناه فى هذا البحث ، ورأيه أن الفصاحة والبلغة والبيان والبراعة ، ألفاظ متشابهة ، ولا معنى لها غير وصف الكلام يحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة ، ثم تبرجها فى صورة هى أبهى وأزين ، وآنق وأعجب ، وأحق بأن نستولى على هوى النفس وتنال الحظ الأوغر من ميل القاوب (١٢٤) ...

⁽۱۲۳ سر الفصاحة : ۱۲۳٪ 🖫

⁽١٢٤) دلائل الاعجاز : ٣١ •

ومن ثم فالفصاحة عنده لا تظهر فى الألفاظ المجردة ، ولا توصف بها الكلمات المفردة ، فلا تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة الا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعانى جاراتها ، وفضل مؤانستها لأخواتها (١٢٥) •

وكل ما يمكن أن يقال فى تفاضل الكنمتين المفردنين ، أن هــذه ماألوفة مستعملة ، وتلك غربية وحشية ، أو أن تكون حــروف هــذه أخف وامتزاجها أحسن ، ومما يكد اللسان أبعد (١٢٦) .

وف هذه الفقرة الأخيرة اشدارة مقتضبة الى ما تتفاضل به الكلمات المجردة ، وقد تجاوزها الامام عبد القاهر منطلقا الى تفصيل القول في تفاضل الكلمات من حيث موقعها في النظم ، وموضعها في التأليف ، مما لا مجال له في هذا البحث ،

⁽١٢٥) السابق: ٣٢٠

⁽۱۲۸) السابق : ۳۱ م ۱۲۸۸ د درو

الفصل الثاني فصاحة الكلمة عند المتأخرين

فتن التاخرون بعد ابن سنان الخفاجى بمقاييسه الثمانية في فصاحة الكلمة ، وداروا في غلكها ، فمنهم من لخصها ، ومنهم من شرحها، ومنهم من تعقبه في بعضها مضيفا بعض الشروط التي يسلمان ارجاعها اليها عند التدقيق •

وجاء الخطيب القزويني نضبط كلام السابقين ولخصه في ثلاثة شروط، صارت هي العمدة عند البلاغيين في هذا البحث الي يومنا هذا .

وسنتناول في هذا الفصل مقاييس البلاغيين المتأخرين في فصاحة السكمة ، بدءا من البغدادي ، وانتهاء بالخطيب القزويني وشراح تلخيصه ، وسنؤخر الحديث عن الخطيب الى آخر هذا الفصل على الرغم من تقدمه على بعض من سنتحدث عنهم ، ليكون حديثنا عن فصاحة الكلمة عنده خاتمة المطاف في بحثنا ، كما كان تتاوله لهذا الموضوع خاتمة المطاف فيه .

محمد البقدادي (ت ١٧٥٥):

تكلم البعدادى عن الألفاظ وعيوبها ، وما يجب على البليغ تجاهها، وذلك فى كتابه « قانون البلاغة » • فمن عيوب الألفاظ عنده : أن تكون ملحونة جارية على غير الاعراب والسبيل المبنى عليه الكلام ، وان تكون بشعة مستوخمة ، وحشية متروكة الاستعمال ثقيلة فى السمع(١) •

⁽١) قانون البلاغة : ٣٣ ، ٣٤ .

والناس يخرجون عن طريق البلاغة من وجهين ":

أحدهما: أن تكون الألفاظ مستكرهة مستوخمة غير مرصونة ولا منتظمة •

وثانيهما : أن تكون كثيرة يعنى عنها بعضها ، ويمكن أن يعبر عن المنى الدال عليها مأقل منها (٢) •

والذى يجب على البليغ فى استعمال الألفاظ: أن تكون سمحة سهلة ، لها هلاوة وطلاوة ، وعليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة ، ويتجنب ما كان منواعرا وحشيا ، أو ساقطا عاميا(٣) .

وهكذا تناول البغدادى الموضوع بايجاز يناسب كتابه الذى جعله قانونا الابلاغة ، ومن سمات القانون الايجاز والاحكام ٠

بوالبعدادى يشترك مع قدامة بن جعفر ، وابن خلف الكاتب فى كثير من العبارات مما يدل على تأثره الكبير بهما (٤) ٠

السكاكي (ت ٢٢٦هـ):

نتاول السكاكى موضوع الفصاحة فى كتابه « مفتاح العلوم » وذلك فى نهاية حديثه عن علم البيان ، حيث انطاق من الحديث عن البلاغة والفصاحة اللى الحديث عن الوجوه التى بصار اليها لقصد تحسين الكلام(٥) وهى ما عرفت بعلم اللبديع .

⁽٢) السابق : ٢٣. ٠

⁽٣) السابق : ٢٨. •

⁽٤) ينظر قانون البلاغة : ٣٣ ، ٣٣ ، ويقارن بنقد الشعر : ٢٨ ، ومواد البيان ٩٣ ٠

 ⁽٥) مفتاح العلوم : ٤٢٣ •

وقسم الفصاحة قسمين ، وعرف كل قسم منهما فقال : وأما الفصاحة فهى قسمان . راجع الى المعنى : وهو خلوص السكلام عن المتحقيد ، وراجع الى اللفظ : وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية ، وعلامة ذلك ، أن تكون على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربينهم أدور ، واستعمالهم لها أكثر ، لا مما أحدثها المولدون ولا مما أخطأت فيه العامة ، وأن تكون أجرى على قوانين اللغة ، وأن تكون سايمة عن النتافر (٦) •

ومن تأملنا فى كلام السكاكى عن الفصاحة اللفظية نجد أنه مضع شرطا عاما لفصاحة الكلمة هو : أن تكون الكلمة عربية أصلية و ويتحقق هذا الشرط العام بشروط فرعية هى :

- ١ دوران الكلمة على ألسنة العرب الفصحاء ٠
 - ٢ ــ ألا تكون مما أحدثه المولدون ٠
 - ٣ ــ ألا تكون مما أخطأت فيه العامة •
 - ٤ ـ أن تكون جارية على قوانين اللغة
 - o ــ أن تكون سليمة من النتافر ·

وهذه الشروط الخمسة لفصاحة الكلمة تدخل ضمن شروط ابنسنان الخفاجى :

فدوران الكلمة على ألسنة الفصحاء ، يعنى أنها لا تكون غربية وحشية متوعرة كما ذكر ابن سنان .

وكون الكلمة ليست مما أحدثه الموادون ، ولا مما أخطأت فيه العامة بيعنى أنها لا تكون ساقطة ولا عامية ولا مبتذلة كما قسرر اللخفاجي .

⁽١) مفتاح العلوم : ٤١٦ ٠

وكونها جارية على قدوانين اللغة هو ما اشترطه ابن سنان من كونها جارية على العرف العربي الصحيح غير شاذة •

وسلامة الكلمة من التنافر يتناول ما اشترطه ابن سنان من كون الكلمة مؤلفة من حروف متباعدة المخارج ، وكونها حسنة في السمع وكونها معتدلة غير كثيرة الحروف ، فهذه الشروط الثلاثة تجمل الكلمة سليمة من التنافر الذي يختلف شدة وخفة .

ابن الأثير (ت ١٣٧ه) :

تحدث ابن الأثير في كتابيه « المثل السائر » و « الجامع الكبير » عن الفصاحة والبلاغة ، وأفاض في الحديث عن فصاحة الكلمة في الحراسة موسعة تأثر فيها بابن سنان الخفاجي ، بل تعد في الحقيقة شرحا لما ذكره ابن سنان ، وتعقيبا على بعض آرائه ،

وفرق ابن الأثير بين الفصاحة والبلاغة بما لم يضرج عن كلام الخفاجى ، فبين أن الفصاحة تخص اللفظ دون المعنى ، والبلاغة تشمل الألفاظ والمعانى حال التركيب ، واللفظة الواحدة لا توصف بالبلاغة ، وتلوصف بالفصاحة ، والبلاغة أخص من الفصاحة ، فكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح بليغا (٧) .

وهذا عين ما ذكره الخفاجي كما أسلفنا •

الكلمة ومرجع الحكم عايها .

وبين ابن الأثير أن مؤلف الكلام يحتاج الى ثلاثة أشياء:

أولها: اختيار الألفاظ المفردة •

وثانيها : نظم كل كلمة مع أختها المساكلة لها .

⁽V) المثل السائر : ١/٢١ ، ٩٤ ·

وثالثها : الغرص المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه والمراف المفردة حكمها حكم اللاليء المبددة ، وعلى ناظمها أن ميتخارها وينتقيها قبل النظم (٨) •

ويرى ابن الأثير أن السمع أساس في الحكم على الألفاظ بالحسن أو القبح : لأن الألفاظ أصوات تتألف من مخارج الحروف ، فما استلذه السمع منها فهو الحسن » وما كرهه فهو القبيح ، والحسن هو الوصوف بالفصاحة ، والقبيح غير موصوف بها • ومثال ذلك : أن الفاظ « المزنة » و « الديمة » و « البعاق » من صفات المطر ، ولا خلاف في أن « المزنة » و « الديمة » حسنة يستلذها السمع ، وأن « البعاق » قبيحة يكرهها السمع (٩) •

كما يرى أن التعبيل على حكم السمع ، يغنى عما ذكره علماء البيان فى كتبهم من خصائص وهيئات للألفاظ ، لأنه اذا كان اللفظ لذيذا فى السمع كان حسنا ، واذا كان حسنا الخطائص والهيئات فى ضمن حسنه (١٠) •

شروط يعترض عليها :

ويناء على اعتداد ابن الأثير بحكم السمع ، لم يوافق ابن سنان في بعض الشروط التي ذكرها لفصاحة الكلمة ، وهي : تباعد مضارح الحسروف ، وكون الكلمة جارية على العرف العسربي غير شاذة ، وكونها مصغرة في موضع يعبر به عن شيء لطيف أو خفى أو ما جري مجراه ، وكونها معتدلة غير كثيرة الحروف (١١) .

۱٦٢/١ : السابق (٨)

⁽٩) السابق: ١٦٩، ٩١/١ ٠٠

⁽۱۰) السابق: ١٧٠/١ •

⁽١١) للثل السائر: ١١/١٧٢، • ١٤٠٤ هـ

وبين وجه اعتراضه على هذه الشروط الأربعة حسبما نوضه المعين في المعين على المعين المعين

١ ـ تباعد مخارج حروف الكلمة:

ذكر ابن الأثير أن تباعد المقارج لا يصح جعله شرطا في اختيار الأنف المان :

١ ــ أن معظم ألفاظ اللغة العربية دائر على ذلك فلا حاجة اللنص عليه •

٢ ــ أنه لو أراد الناظم أو النائر أن يعتبر مخارج الحروف عدم استعمال الألفاظ، وهل هي متباعدة أو متقاربة ، لطال الخطب في ذلك وعسر ولما كان الشاعر ينظم قصيدا ، ولا الكاتب ينشىء كتابا الا في مدة طويلة تمضى عليها أيام وليال ذوات عدد كبير .

٣ - اذا سئت عن لفظة من الألفاظ وقيل لك: ما تقول في هذه اللفظة أحسنة هي أم قبيحة ؟ غانك تفتي على القور بحسنها أو قبحها، ولو كنت لا تفتى ذلك حتى تقول للسائل: اصبر الى أن أعتبر مخارج حروفها، ثم أفتيك معد ذلك بما فيها من حسن أو قبح لصح لابن سنان ما ذهب الميه من جعل بعد المخارج شرطا في اختيار الألفاظ .

٤ ـ أن الأصل الذي غاب عن ابن سنان في ذلك هو: أن المحسن من الألفاظ يكون متباعد المخارج، قدسن الألفاظ أذن ليس معلوما من تباعد المخارج وانما علم قبل العلم بتباعدها وهذا راجع الي حاسة السمع فاذا استدسنت لفظا أو استقبحته وجد ما تستحسنه متباعد المخارج، وما تستقبحه متقارب المخارج، واستحسانها واستقباحها انما هو قبل اعتبار المخارج، لا بعده و

و _ أن حسن الألفاظ المتباعدة المظارج قاعدة قاد شذا عنها شواذ كثيرة • لأنه قد يجىء فى المتقارب المخارج ما هو حسن رائق • فالجيم والشين والياء مخارج متقاربة ، وهى من وسط اللسان بينه وبين المحنك ، وتسمى ثلاثتها « الشجرية » واذا تركب منها شيء من الألفاظ جاء حسنا رائقا • فان قيل « جيش » كانت لفظة محمودة ، وان قبل « شحى » كانت أيضا لفظة محمودة •

كما قد يجئ، في المتباعد المخارج شيء قبيح أيضا ، ولو كان التباعد سببا للحسن لما كان سببا للقبح ، اذ هما ضدان لا يجتمعان فمن ذلك أن يقال : « ملع » اذا عدا ، فالميم من الشفة ، والعين من حروف الحلق ، واللام من وسط اللسان ، وكل ذلك متباعد ، ومع هذا فان هذه المفظلة مكروهة الاستعمال ينبو عنها الذوق السايم ، ولا يستعملها من عنده معرفة بفن الفصاحة (١٢) .

وياحظ ابن الأشير نكتة غربية فى هذه اللفظة ، فانتا اذا عكسنا حروفها صارت «علم » وعند ذلك تكون حسنة لا مزيد على حسنها ، ولاندرى كيف صار القبح حسنا ؟! مع أنه لم يتغير شيء من مفارجها، ولو كانت مفارج الحروف معتبرة فى الحسن والقبح لما تغير الحكم فى « ملع » و « علم » •

ويهورد ابن الأثير ما يمكن أن يقال تفسيرا لهذه الظاهرة ، ويرد عليه ، فيقرل : فإن قيل : أن اخراج الحروف من الحلق الى الشفة أيسر من ادخالها من الشفة الى الحلق ، فإن ذلك انحدار ، وهذا صعود ، والانحدار أسهل!

فالجواب عن ذلك: أن هذا لو كان مستمراً لصح ما ذهبت اليه، الكتا نرى من الألفاظ ما اذا عكسنا حروفه من الشفة الى الحلق ع

[·] ١٧٤ _ ١٧٢/١ : السابق : ١/٢٧١ _ ١٧٤

أو من وسط اللسان أو من آخره الى الحلق لا يتغير كقولنا «غلب » فان الغين من حروف الحلق • واللام من وسط اللسان ، والباء من الشفة ، وإذا عكسنا ذلك صار « بلغ » وكلاهما حسن مليح • وكذلك تقول ، « عقر » و « رقع » و « عرف » و «فرع» و « حلف » و «فلح» وغير ذلك كثير • • • ولو كان ما ذكرته مطردا لكنا اذا عكسنا هذه الالفاظ صار حسنها قبحا ، وليس الأمر كذلك (١٣) •

لهذه الأسباب التى فصلناها لم يوافق ابن الأشير على ما ذهب اليه ابن سنان من جعل تباعد المخارج شرطا فى فصاحة الكامة، وأرجع الحكم بحسنها أو قبحها الى حاسة السمع ، فهى الحاكمة بحسن ما يحسن من الألفاظ ، وقبح ما يقبح منها •

ومن السهل الرد على حجج ابن الأثير:

فقوله: ان معظم ألفاظ اللغة دائر على ذلك • فهذا ما لا يغيب عن ابن سنان وقد أشار أليه في تقسيم تأليف الحروف وفي كلامه عن الشرط الأول وبيناه في حديثنا عن هذا الشرط عند ابن سنان ، وكون معظم ألفاظ اللغة دائرا على ذلك ، لا ينتاقض مع النص عليه •

وقوله لو اعتبر القائل مخارج الحروف لعسر عليه ، ولم ينشىء ما يريده ألا فى مدد طويلة ، فهذا لم يقصده ابن سنان ، والأنفاظ المسنة هى أكثر اللغة ، ويقع عليها القائل دون صعوبة ، ولا حاجة به الى التأمل فى الكلمات ومخارجها كما هو معلوم وواقع .

وقوله أن الحكم على الكامة بالحسن أو القبـــح لا يتوقف على معرفة المخارج ، مهذا صحيح لأن ثقل الكلمــة أو خفتها شيء يدركه الذوق ، والسمع ، ولكن عند السؤال عن سبب الثقل والتتافر فسيكون.

⁽١٣) المثل السائر : ١/٤٧١ ، ١٧٥٠

الجواب مخارج الحروف وصفاتها ، وقد بين البن الأثير نفسه أن الثقل . في « مستشررات » ناشىء من الشين التي قبلها تاء ويعدها زاى ، فجعل الثقل راجعا الي اجتماع الحروف المتنافرة (١٤) •

وقوله ان حسن الألفاظ يعلم قبل العلم بتباعد مخارجها ، قول ضعيف ، لأن ابن سنان لم يجعل علة النتافر هي العلم بتباعد المخارج، بل نفس التباعد ، وذاك مدرك لكل سامع(١٥) •

وقوله ان حسن المتباعد وقبح المتقارب قاعدة قد شذ عنها شواذ كثيرة ، لا يهدم ما ذكره ابن سنان لأنه لم يقل ان كل متباعد فى المخارج حسن ، وكل متقارب فى المخارج قبيل ، انما هذه القاعدة مبنية على الأغلب والأعلم ، غالمدعى انما هو الغلبة كما هو شأن الملامات لا اللزوم(١٦) •

وقد بنى ابن الأثير نفسه شرطا على الأمر الغالب ، حيث جعل من شروط فصاحة الكلمة ألا تكون مبنيا، من حركات ثقيلة ، وعندما وجد شذوذا عن ذلك يتمثل في وجود بعض الكلمات التي يتوالى فيها الضم ولا يحدث كراهة ولا ثقلا ، قال أن هذا الشاذ لا يبطل الشرط المقرر ، لأنه قائم على العلب ، والشاذ لا ينقض الأصل المقيس عليه (١٧) فكيف بيحاسب ابن سنان على ما شذ عن شرطه ؟!

على أن ابن الأثير لم يعترض على هذا الشرط فى «الجامع الكبير». وقال فى تفسيره : ولسنا نعنى بذاك أن المتقارب المضارج لا يكون لحسنا ولا جيدا ، بل نعنى بذلك أن الغالب على المتباعد المضارج من

⁽١٤) المثل السائر : ١/٥٠١ ، ٢٠٦٠

⁽١٥) عروس الأفراح : ١١١/٨٠٠

⁽١٦) عروس الأفراح: ١٦/٨٠

⁽۱۷) المثل السائر: ١/٧٠١ ، ٢٠٨٠ •

الألفاظ الجودة والحسن ، والغالب على المتقارب المفارج الرداءة والقبح (١٨) .

وأرى أن السمع والذوق يحكمان بالثقل أو عدمه ، ولم يغفل الخفاجى أثر السمع بل أفرد له الشرط الثانى من شروطه ، ولكن يبقى بعد حكم السمع والذوق سبب الحسن أو القبح مجهولا ، ولا تفسير الهذا السبب الا حروف الكامة المتافرة في مخارجها وصفاتها .

٣ _ جريان اللفظة على العرف العربي:

وهذا هو الشرط الثانى الذى لم يوافق عليه ابن الأثير ، وحجته في ذلك ، أن عدم جريان الكامة على العرف العربى الصحيح لا يوجب لها حسنا ولا قبحا ، وانما يقدح في معرفة مستعملها بما ينقله من الألفاظ ، فكيف يعد ذلك من جملة الأوصاف الحسنة ؟ ! (١٩) .

وفي الجامع الكبير يقول عن هذا الشرط:وليس هذا معتبرا فيجودة اللفظة ولا في رداءتها، لأن شذوذ اللفظة لا يرجب لها حسنا ولا قبحا، وانما المعنى بقولهم: ان هذه الكلمة شاذة ، أي أنها لم تنقل الا عن واحد مقط ، فلا يرشق بها ، ولا يركن اليها ، سواء كانت حسنة أي قبيد [٢٠] .

وفى رد ابن الأثير على ابن سنان مغلطة ظاهرة ، لأن استعمال ما لا يجرى على العربى الصحيح اذا كان يقدح فى معرفة مستعمله ، فانه من باب أولى يقدح فى فصاحة الكلمة ، ويسبب قبحها ، والا فلماذا يعاب مستعملها اذا كانت هى غير قبيحة ؟!

٣ ـ تصغير اللفظاء ف التعبير عن ااشيء اللطيف أو الخفي أو ما

⁽١٨) الجامع الكبير: ٣٥٠

۱۹۶) المثل السائر : ۱/۹۷۱ ٠

⁽٢٠) الجامع الكبير ثم ١٤٤ •

جرى مجرى ذلك دون الشيء العظيم ونحود: وهذا الشرط لم يوافق عليه ابن الأثير ، لأنه لا حاجة الى ذكره ، فان المعنى يسوق اليه ، وليست معانلى التنصغير من الأشياء العامضة التى يفتقر الى التنبيه عليها ، غانها مدونة فى كتب النحو ، ومع هذا فان صاحب هذه الصناعة مخير فى ذلك ، ان شاء أن يورده بلفظ التصغير ، وأن شاء بمعناه ، كتول بعضهم :

لو كان يخفى على الرحمن خافية من خلقه خفيت عنه بنو لبد

فهل بمكن عذا الشاعر أن يصغر من هؤلاء القوم ، ويحقر من شأنهم بأفاظ التصغير ، ويجىء هكذا ، كما جاء بيته هذا ؟ فالوصية بهذا الشرط اذن ملغاة لا حاجة اليها(٢١) •

ويسدو من رد ابن الأشير أنه لسم يتامل كسلام الخفاجي في هذا الشرط الى آخسره ، لأنه حكى الجزء الأول منه ، ولم يعسرض للجزء الثانى • فابن سنان يريد أن يقول " ان تصغير الكلمة بقصد التقليل ونحو ذلك لا يخل بفصاحتها لأنه تصغير في موضعه ، أما تصغير الكلمة بقصد التعظيم ونحسوه فهذا يخل بفصاحتها ، لأنه تصغير في غير موضعه ، وجار على خلاف الأصل ، وهو غير مشهور في حاجة الى التنبيه عليه ، أما الجزء الأول فهو والضح ، ويجرى على الأصل في الاستعمال •

على أن ابن الأثير لم يعترض على هذا الشرط في «الجامع الكبير» ,وأطنب في شرح معاني التصغير ، وبيان أبنيته الصرفية (٢٢) •

ſ

⁽٢١) المثل السائر : ١/٥٧١ •

⁽۲۲) الجامع الكبير: ٥٤ ـ ٥٦ -

إلى تأليف الكلمة من حروف قليلة:

وقد اعترض أبن الأنسير على هذا الشرط، وذكر مثالا مثل به ابن سنان ، وتعقبه في حكمه عليه ، وهو قول المتنبى :

ان المسكرام بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها

فقال: قال ابن سنان : ان لفظة «سويدا واتها طور له عفاهذا قبحت: وليس كما ذكره ، فان قبح هذه اللفظة لم يكن بسبب طولها ، وانما لأنها فى نفسها قبيحة ، وقد كانت وهى مفردة حسنة ، فلما جمعت قبحت ، لا بسبب الطول (٢٣) .

واستدل ابن الأثير على أن الطول لا يرجب قبح الأفظة بما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ طوال وهي مع ذلك حسنة كقوله تعالى: (« غسيكفيكهم الله »(٢٤) •

فان هذه اللفظة تسعة أحرف ، وكقوله تعالى: «ليستخافنهم فى الأرض »(٢٥) فأن هذه اللفظة عشرة أحرف ، وكلتاهما حسنة رائقة ، ولم كان الطول مما يوجب قبحا لقبحت هاتان اللفظتان وأيس كذلك .

كما أنه لو أسقط من لفظة « سويداواتها » الهاء والألف وهما عوض عن الاضافة لبقى منها ثمانية أحرف ، ومع هذا فانها قبيحة ، ولفظة « ليستخلفنهم » عشرة أحرف ، وهى أطول منها بحرفين ، ومع هذا فانها حسنة رائقة (٢٦) .

وبين ابن الأثير أن الأمر في ذلك يرجع الى تأليف الحروف بعضها مع بعض ، والأصل في هذا الباب ": أن الأصول من الألفاظ لا تحسن . الا في الثلاثي وفي بعض الرباعي كقولنا « عذب » و « وعسب جد »

⁽٢٣) المثل السائر: ١/٤٠١ ٠٠

⁽٢٤) البقرة : ١٣٧٠

⁽٢٥) النور: ٥٥٠

⁽٢٦) المثل السائر ١/٤٠١ ، ٢٠٥٠ ٠

أما المضاسى من الأصول فانه قبيح ، ولا يكاد يوجد منه شيء حسن ، كقولنا «جحمرش » و «صهصلق » وما جرى مجراهما • وكان يتبغى بناء على ما ذكره ابن سنان أن تكون هاتان اللفظتان حسانتين ، واللفظتان الواردتان فى القرآن قبيحتين ، لأن تلك تسعة أحرف وعشرة، وهاتان خمسة وخمسة ، ولكن الأمر بالضد مما ذكره كما درى(٢٧) •

ويخاص ابن الأثير من ذاك الى أن المطلوب أن تجتنب الألفاظ المؤلفة من حروف يثقل النطق بها سواء كانت طويلة أو قصيرة ، اذ لا عبرة بالطول والقصر انما العبرة بتأليف الكلمة من حروف ثقيلة أو خنيفة على الملسان • ومثال ذلك قول امرىء القيس:

غدائره مستشرراد الى العلا تخل المدارى في مثنى ومرسل

فلفظة « مستشزرات » مما يقبح استعمالها ، لأنها نتقل على اللسان ويشق النطق بها وان لم تكن طويلة ، لأننا لو قاتا «مستكرات» أو « مستفرات » على وزن « مستشزرات » لما كان في هاتين اللفظتين من ثقل ولا كراهة .

كما أننا لو حذفنا منها الألف والتاء وقانا «مستشزر » لكانت أيضا ثقيلة ، وسبب ذلك : أن الشين قباها تاء وبعدها زاى ، فتثقل النطق بها ، والا فاو جعلنا عوضا من الزاى راء ، ومن الراء فاء فقانا «مستشرف » لزال ذلك الثقل(٢٨) .

وبهذا وضع أبن الأثير شرطا بديلا عن شرط ابن سنان الذي اعترض عليه: ألا وهو: أن نكون الألفاظ مؤلفة من حروف يسلما النطق بها .

⁽۲۷) السابق ۱/۵۰۸ .

⁽۲۸) المثل السائر ١/٥٠٥ ، ٢٠٦٠

ومرقف ابن الأثير من هذا الشرط فى «الجامع الكبير» يختاف عما فى « المثل السائر » بل يتناقض معه ، حيث لم يعتسرض على كلام الخفاجى فى « سويداواتها » وأيد كلامه قائلا : ان الكلمة اذا ركبت من حروف قليلة خفت على النطق لقصرها ، وسهل التعبير بها على اللسان لسرعة فراغه منها ، واذا تركبت من حروف كثيرة كان فى النطق بها كنفة على الناطق ، وذلك اتطاولها وامتداد الصوت بها (٢٩) .

وأورد على كلامه اعتراضا ورد عليه ، فقال " فان قيل ان هذا الذي آنكرته من طول الألفاظ وذكرته هيها قد ورد في القرآن الحريم ما يماثله ويشابهه كما في قوله تعالى : « ليستخلفنهم في الأرض » وقوله تعالى : « فسيكفيهم الله » وأمثال ذلك ، فلو كان هذا منكرا في التأليف مكروها في الكلام لما ورد في القرآن المجيد .

فقلنا فى الجواب عن ذلك : ليس هـذا الذى قد جاء فى القرآن الكريم مثل هذا الذى أوردناه نحن فى كتابن من كلمات طويه وأنكرناها على قائلها ، لأن قوله « ليستخافنزم » ثلاث كامـات جمعت فصـارت كلمة واحدة صـورة لا معنى ، وكذلك « فسـيكفيكهم » ولا نجـد فى القرآن الكريم لفظة واحدة مثل سويداوانها فى الطول ، لأنهـا ليست ثلاث تلمات وقد جمعت كلمة واحدة كمـا أريناك ، وانما هى كلمـة تدل على معنى الجمعية لا غير ، وفى آخرها الهاء والألف لاضـافنها الى المؤنث فاعرف ذلك (٣٠) •

وهذا الذي ذكره في « الجامع » رد قوى على ما ذكره في «المثل السائر » معترضا على الخفاجي ، وان كان من المرجح أن « الجامع الكبير » ألف قبل « المثل السائر »(٣١) •

⁽٢٩) الجامع الكبير: ٥٧ .

٣٠١) الجامع الكبير: ٨٥، ٥٩ .٠

⁽٣١) الجامع الكبير • مقدمة التحقيق : ٣٩ •

شروط وافق عايها "

ووافق ابن الأثير على ثلاثة من شروط الخفاجي في فصاحة اكلمة

- ١ ــ ألا تكون الكلمة وحشية •
- ٢ ـ ألا تكون الكلمة مبتدلة بين العامة •
- ٣ _ ألا تكون الكلمة مشتركة بين معنيين أحدهما يكره ذكره و وتحدث عن كل شرط منها حديثا عفصلا كما سنعرضه فيما يلي:

1 _ كون الكلمة غر وحشية:

بين ابن الأثير أن الوحشى من الألفاظ هو الغريب الذى يقل الستعماله ويندر تداوله وهو منسوب الى اسم الوحش الذى يسكن القفار وليس بأنيس ، وكذلك الألفاظ التي لم تكن مأنوسة الاستعمال وليس من شرط الوحش أن يكون مستقبحا ، بل أن يكون نافرا لا يألف الانس ، وتارة يكون حسنا ، وتارة يكون قبيحا (٣٢) .

وعلى هذا فليس من شرط الوحشى أن يكون مستقبط كما يرى بعض المنتمين الى صناعة النظم والنثر بل هو على قسمين : غريب حسن ، وغريب قبيح •

والغريب الحسن يختلف باختلاف النسب والاضافات ، والغريب القبيح يستقبحه على النساس ، ولا يختلف في استقباحه عربي بالا ولا قروي متحضر (٣٣) .

ويستنتج ابن الأثير من هذه القسمة أن الألفاظ على ثلاثة أقسام:

⁽٣٢) المثل السائر: ١/١٧٥، ١٧٦، ١٨٠٠ وايتنظر النوامع الكبير؟؟ (٣٢) السابق: ١/١٧٥، ١٧٦، ٥٠

قسمان حسنان وقسم قبيح •

فالقسمان الدسنان :

أحدهما : ما تدااول استعماله الأول والآخر من الزمن القديم الى زمننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشى • وهو أحسن الألفاظ لأنه مألوف متداول ، ولم يكن كذلك الا لمكان حسسنه بين أرباب الخطابة والشسعر •

والآخر ما تداول استعماله الأول دون الآخر ويختلف في استعماله بالنسبة الى الزمن وأهله ، فلا يعاب استعماله عند العرب لأنه لم يكن عندهم وحشيا ، وهو عندنا وحشى ، وهذا التسم هو ما أطلق عليه الغريب الحسن ،

بوقد تضمن انقرآن الكريم منه كلمات معدودة وهى ما يطلق عليها « غريب القرآن » وكذلك تضمن الحديث النبوى منه شيئا وهو ما يطلق عليه غريب الحديث (٣٤) •

والقسم القبير هو الوحشى العليظ المتوعر ، واللفظ في هدا القسم يجمع عيين :

أحدهما: غرابة الاستعمال:

والآخر: ثقله على السمع واللسان •

واللفظ الذي بهذه الصفة لا مزيد على فظاظته وغلاظته ، وليس وراءه في القبح درجة أخرى •

ومن أمثلة ذلك قول تأبط شرا"

يظن بموماة ويمس بغيرها جحيشا ويعرورى ظهور المسالك

⁽٣٤) المثل السائر ١٧٦/١ ٠

فان لفظة « جحيش » من الألفاظ المنكرة القبيحة ، وهي بمعنى « مريد » وفريد لفظة حسنة رائعة ولو وضعت موضع « جحيش » للا اختل شيء من الوزن •

غتابط شرا عنوم من وجهين :

أحدهما : أنه استعمل القبيح •

والآخر : أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنسه . ومما هو أقسح منها ما وراد لأبي تمام في قوله :

قد قت لما اطلخم الأمر وأنبعثت عشواء تالنسة غيسا دهاريسا فلفظة « اطلخم » من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين ، فهي عربية ، وغليظة في السمع كريهة على الذوق وكذلك لفظة « دهاريس » أيضا (٣٥) •

وابن الأثير مبالغ في الحكم على « اطاخم » حين جعلها أقبح من « جحيش » التي يظهر فيها التوعر بجانب النتافر ، بينما لفظة « اطاخم » تنطق بالشدة والقوة في اضطراب الأمر ، ومن ثم لا يرى فيها بعض الباحثين مخالفة للفصيح ، لأن ثقلها وتداخل حروفها يحكيان الشدة والاختلاط حين ينبهم الأمر ، وتتبعث النوائب العشواء (٣٦) ،

أستعمال الغريب الحسن:

ويرى ابن الأثير أن استعمال الغريب الحسن ليس مقبولا من كافة المتكلمين على الهلاقهم ، بل يكون مقبولا من طائفة دون طائفة أخرى حسب زمان الوجود ومكانه .

⁽۳۵) السابق : ۱/۱۸۰ ، ۱۸۱ ۰

⁽٣٦) خصائص التراكيب: ٣٤ .

نالمرب لا تلام على استعمال العريب الحسن ، وانما تلام على استعمال العريب القبيح ، وأما الحضرى فأنه يلام على استعمال القسمين معا وهو في أحدهما أشد ملامة من الآخر (٣٧) .

كما أن الغريب الحسن لا يبسوغ استعماله فى أجنساس الكلام على السواء، بل يسوغ استعماله فى الشعر، ولا يسوغ فى الخطب والمكاتبات .

من ذلك قول الفرزدق :

ولولا حیاء زدت رأسك شجة اذا سبرت ظلت جیانبها تغلی شرنبثة شمطاء من یر ما بها تشبه ولو بین الخماسی والطفل (۳۸)

غقوله: « شرتبثة » من الألفاظ الغربية التي يسوغ استعمالها في الشعر ، وهي هينا غير مستكرهة ، الا أنها لو وردت في كلام منثور من كتاب أو خطبه لعيبت على مستعملها •

ومن ذلك تلول البحترى :

مشسمدر تعلو له شرفات رفعت فی رءوس رضوی وقدس (۳۹)

فان لفظة « مشمحر » لا يحسن استعمالها في الخطب والكاتبات، ولاباس بها ههنا في الشعر (٤٠) .

⁽٣^٣٧) السابق : ١٨٢/١ ·

⁽۳۹،۳۸) شرنبثة : غليظة قبيحة منكرة · وغلام خماسى : اذا كان طوله خمسة أشبار ·

المشمخر : الجبل العالى · ورضوى وقدس جبلان · حاشية المثل السائر ١٨٣/١ ·

⁽٤٠) المثلُّ السائر : ١٨٣/١ ~

وبناء على هذا يرى ابن الأثير أن كل ما يسوغ استعماله فى الكلام المنثور من الألفاظ يسوغ استعماله فى الكلام المنظوم المنظوم يسوغ استعماله فى الكلام المنظوم يسوغ استعماله فى الكلام المنظوم المنظوم على المنظوم و الكلام المنظوم على المنظوم و الكلام المنظوم على المنظوم و الكلام الكلام المنظوم و الكلام الكلا

الجزل والرقيق :

ويفرق ابن الأثير بين الجزل والرقيق من جانب ، والوحشى والركيك من جانب آخر درءا للالتباس بينها •

مالجزل من الألفاظ ما كان متينا قويا على عذوبته فى الفم ولذاذته. فى السمع ، وهذا بخلاف الوحشى المتوعر الذى يثقل على السمع واللسان ، ويستعمل الجزل من الألفاظ فى وصف مواقف الحروب ، وفى هوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك .

والرقيق هو الاطيف ، الرقيق الحائسة ، الناعم الملمس ، وهو بخلاف الركيك والسفساف والردى ، • ، ويستعمل الرقيق من الالفاظ فى وصف الأشواق ، وذكر أيام البعاد ، وفى استجلاب المودات، وملاينات الاستعطاف ، وأشعاد ذلك (٤٢) •

ويضرب ابن الأثير أمشالة الجهزل والرقيق من القرآن الكريم والشهر والنثر ويشهر الى أن قوارع القرآن الكريم عند ذكر الحساب ، والعذاب والميزان والصراط ، والوت ، ومفارقة الدنيا ، وما جرى هذا المجرى من قبيل الجزل من ذلك قوله تعالى: « وتفتح في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله نم نفخ في فيه أخرى فاذا هم قيام يتصرون وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع

⁽٤١) السابق : ١/٥/١ •

[·] ۱۸٫۱، ۲۸۰/۱ : السابق : ۱/۱۸۸ ، ۲۸۸ ·

السكتاب وجيء باننبيين والشهداء وقض بينهم بالحق وهم

فهذه الآيات المضمنة ذكر الحشر على تفاصيل أحواله و وذكر النار والجنة ما فيها لفظة الا وهى سهلة مستعذبة على ما بها من الجزالة والقوة و كما يشير الى أن ألفاظ القرآن عند ذكر الرحمة والرأفه والمنفرة والملاطقات في خطاب الأنبيلة ، وخطاب المنييين والتائبين من من العباد وما جرى هذا المجرى ، من قبيل الرقيق البعيد عن الضعف والركاكة و من ذلك قوله تعالى : « والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ٥٠٠ » الى آخر السورة (٤٣) و

فألفاظ هذه السورة تذوب رقة ولطفا ، وما فيها من لفظة ضعيفة أو باردة •

وهكذا ترى سبيل القرآن االريم فى كلا هذين الحالين من الجزالة والرقة (٤٤) •

وعلى هذا السبيل ورد أكثر كلام العرب في القديم شعرا ونثرا ، ومما ساقه من أمثلة للجزل قصيدة السعوال :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فك رداء يرتديه جميك

ومنهسا:

لها عسرر منسهورة وحجسول بها من قراع الدارعسين فلول فتعمد حتى يستباح قتيك

وأيامنا مشهورة في عسدونا وأسيافنا في كل غرب ومشرق معسودة ألا تسل فصالها

⁽٤٣) سورة الزامر : الآيات : ٦٩ ــ ٧٤ 🗠

⁽٤٤) المثل السائل: ١٨٦/١٠ ، ١٨٨٠

ويعلق علهها بقوله : فاذا نظرنا الى ما تضمنته من الجزالة ، خلناها زيرا من أنحديد وهي مع ذلك سهلة ، مستعذبة ، غير عظه ولا غليظة .

ومن أمثلة الرقيق قول عروة بن أدينة :

ان النبي زعمت فؤادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها حجبت تحينها فقلت لصاحبي: ما كان أكثرها لنا وأقلها واذا وجدت لها وساوس سلوة ﴿ شَعْمِ الصَّمِيرِ الرَّالْفُوَّادِ فَسُلُّهَا (٤٥)

بيضاء باكرها للتعيم غصاغها بلباقة فأدقها وأجلها

وينتهى ابن الأثير من ضرب الأمثلة الى المقارنة بين الألفاظ والأشحاص ، فيقول : والألفاظ تجرى من السمع مجرى الأشخاص من البصر ، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار ، والألفاظ الرقيقة ، تتخيل كأشخاص ذوى دماثة ولين أخلاق ولطاغة مزاج (٤٦) •

٢٠ _ ألا تكون الكلمة مبتفلة بن العامة ٢٠

ربين ابن الأثير أن هذا ينقسم قسمين:

القسم الأول : ما كان من الألفاظ دالا على معنى وضع له فى أصل اللغة فعيرته العامة وجعلته دالا على معنى آخر •

وهو ضربان:

الأول : ما يكره ذكره • كقول أبي الطيب :

آذاق الغواني حسنه ما أذاقني وعف فجازاهن عنني بالصرم

⁽٥٥) السابق: ١٨٩ ، ١٩٠٠ ٠

⁽٤٦) السابق : ١/١٩٥ •

فان معنى لفظة « الصرم » فى وضع اللغة هو القطع • فغيرتها العامة وجعاتها دالة على المحل المخصوص من الحيوان دون غيره • فأبدلوا السين صادا (٤٧) ، ومن أجل ذلك استكره استعمال هذه اللفظة وما جسرى مجراها • وهذا الضرب لا يعاب البدوى على استعماله كما يعاب المحتضر ، لأن البدوى لم تتغير الألفاظ فى زمنه ، ولا تصرفت العامة فيها كما تصرفت فى زمن المحتضرة من الشعراء •

وهذا الضرب دالخل عند الخفاجى فى الكلام المعبر به عن أمر الخر يكره ذكره ، ولفظة « الصرم » مما مثل به ، ولكنه أوردها فى قرول البي صخر الهذلى :

قد كان صرم فى الممات لنا فعجات قبل الموت بالصرم ويبين الخفاجى أن مثل هذا لا يعاب به البدوى علجواز أن يكون. هذا الاستعمال المعيب حادثا بعده ٠

وقد نقل ابن الأثير كلام الخفاجي الا أنه جعل هذا من ضروب المبتذل ، فكثر الأقسام دون فرق ظاهر بينها ، ولو أدخل هذا ضمن ما عبر به عن أمر مكروه كما فعل الخفاجي لكان أفضل .

والثانى: ما ليس بمستقبح ولا مستكره وذلك كتسميتهم الانسان الاخلايفا » اذا كان دمث الأخلاق ، حسن الصورة أو اللباس أو ما هذا سبيله ، والظرف في أصل اللغة مختص بالنطق فقط (٤٨) •

والقسم الثاني : ما لم تغيره العامة عن وضعه ، وانما أنكر استعماله لأنه مبتدل بينهم ، لا لأنه مستقبح ، ولا لأنه مضالف

⁽٤٧) السرم بالسين طرف المعى المستقيم عند المخرج ، كلمة مولدة ، والعامة يقولونه بالصاد « صرم » • ينظر الصحاج مادة : سرم • (٤٨) المثل السائر ١٩٦/١ ، ١٩٧ ، ١٩٨ •

الما وضع له • ولا يقصد بهذا القسم عند ابن الأثير ما كثر تداوله بين العامة ، ولكن ما كان من الألفاظ سخيفا ضعيفا سواء تداولتها العامة أو الخاصة كما في قول أبي الطيب

وملمومة سيفية ربعية بصبح الحصى فيها صباح اللقالق فان نفظة « اللقالق » مبتذلة بين العامة جدا (٤٩) ٠٠

ومن ذلك لفظه « الشاطر » و « الشاطرة » و « الشطار » كما. في قول أبي نواس :

وملطة بالعـــدن تحسب أنني بالجهل أترث صحبة الشطار (٥٠) ٣ ــ ألا تكون مشتركة بين معنيين أحدهما يكره فكره :

وبين ابن الأثير أن الكمة اذا وردت وهي غير مقصود بها ذلك المعنى المكروه قبحت ، وذلك اذا كانت مهملة بغير قريبة تميز معناها عن القبح ، غاذا جاءت معها قريبة فانها لا تكون معيبة كقوله تعمالي ، « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون » (٥١) ، غلفظة « التعزير » مشتركة تطلق على التعظيم والاكرام ، وعلى الضرب الذي هو دون الحد ، وقد جاءت في الآية ومعها قرينة ، ذخصصت معناها بالحسن ، وميزته عن القبح ، وأو وردت مهملة بغير قرينة ، وأريد بها المعنى الحسسن ، لسبق الى الوهم ما اشتملت عليه من المعنى القبيح ،

مثال ذاك لو قال قائل: لقيت فلانا فعزرته ، لسبق الى الفهم أنه ضربه وأهانه ، ونو قال: لقيت فلانا فأكرمته وعزرته لزال ذلك اللبس .

[﴿]٤٩) السابق: ١/٩٨ ، ١٩٩ ﴿

⁽٥٠) السابق: ١/١١ ٠

⁽٥١) الأعراف : ١٥٧ ٠

وقد تأتى القريعة في كالام فتكون سببا في قبحه ، ولو لم تجيء معه لما كان مستقبحا ، من ذلك قول الشريف الرضى :

أعزز على بأن أراك وقد خلا عن جانبيك مقاعد العواد

وساق ابن الأثير كلام ابن سنان عن هذا البيت وهو: أن ايراد مقاعد فى هذا البيت صحيح ، الا أنه موافق لما يكره ذكره فى مثل اهذا الشأر ، لاسيما وقد أضافه الى من يحتمل اضافته اليهم وهم العراد ، ولو انفرد كان الأمر فيه سهلا ، فأما اضافته الى ما ذكر ، ففيها قبح لاخفاء فيه (٥٢) .

وعلق ابن الأثير على هذا فقال: هذه اللفظة المعيية في الشيعر قد جاءت في القرآن الكريم، فجاءت حسنة مرضية، وهي قبوله تعالى: « واذا غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال » (٥٣)، رقوله تعالى: « وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع » (٥٤)، ألا ترى أنها في هاتين الآيتين غير مضاغة الى من تقبح اضافته الليه، كما جاءت في الشيعر! ولو قال الشاعر بدلا من « مقاعد العواد » «مقاعد الزيارة» أو ما جرى مجراه، نذهب ذلك القبح، وزالت تلك الهجنة، ولهذا بجاءت هذه اللفظة في الآيتين على ما تراه من الحسن، وجاءت على ما تراه من الحسن، وجاءت على ما تراه من الحسن، وجاءت على ما تراه من القبح في قبوله الشريف الرضى (٥٥).

وابن الأثبر متفق مع ابن ستات فى نقد البيت ، حيث بين أن لفظة الا مقاعد » معبية هنا لما توحى به من معنى قبيح ألمح اليه اضاغة الا مقاعد » الى « العواد » ، ولمو أضيف الى افظ آخر لا يوهم معنى.

⁽٥٢) المثل السائر: ٢٠٣/١، وسر الفصاحة: ٧٥٠

⁽٥٣) آل عبران : ١٢١ ب

⁽٤٥) الجن: ٩٠

⁽٥٥) المثل السائر: ٢٠٣/١ برينظر الهيلهم الكبير: ٥٤ ، ٥٥ ٠

قبيحا نزال العيب، ومن ثم حسنت هذه الفظة في القرآن الكريم لحدم اضافتها الى ما يوحى بمعنى قبيح ، وبذلك غصل ابن الأثير المثالث ووضحها بدقة •

ومثل ابن الأثير لما ورد مهملا بغير قرينة فجاء معيدا بقول أبى تماح:

أعطيت لى دية القتيل وليس لى عقل ولا حق عليك قديم

فقوله: «ليس لى عقل » يظن أنه من «عقل الشيء » أذا علمه ، ولو قال: «ليس لى عليك عقل » لزال اللبس ، فهذا كان محتاجا الى قرينة تخصصه ضرورة (٥٦) •

شروط جديدة:

وأتى ابن الأثير بشرطين لم يردا في شروط ابن سنان وهما "

١ ـ ألا تكون الكامة مؤلفة من حروف يثقل النطق بها ٠

٢ ــ ألا نكون الكلمة مبنية من حركات ثقيلة •

وهذان الشرطان مرتبطان بتأليف الكلمة ، والشرط الأولى منهما الختاره ابن الأثير بديلا عن شرط ابن سنان الذي يرى غيه أن تكون الكلمة معتدلة المحروف ، حيث بين ابن الأثير أنه لا اعتبار بطول اللفظة وقصرها ، وأنما المدار على تأليفها من حروف سهلة النطق غير ثقيلة على اللسان ، وقد فصلنا القول في هذا فيما سبق (٥٧) .

والشرط الثانى " وهو كون الكلمة مبنية من حركات خفيفة ليخف النطق بها وقد ذكر ابن الأثير أن هذا الشرط من ابتكاره ، ولم يقل

⁽٥٦) السابق: ١٠٣//١ ، ٢٠٤٠

⁽٥٧) ينظر المثل السائر: ١/٥٠٨ ٠

به أحد قبله (٥٨) • علما بأن ابن جنى أشار الى مثل هذا وبين أن العرب يختارون أخف الحركات ، ويعملون على تخفيف الحركة الثقيلة ، ومن طرقهم فى ذلك: استثقالهم الحركة التى هى أقسل من الحرف حتى أفضوا فى ذلك الى أن ضعفوك واختلسوها، ثم تجاوزوا ذلك الى أن التهكوا حرمتها فحذفوها ، ثم مياوا بين الحركات فأنحوا على الضمة والكررة لنقلهما ، وأجموا حركوا حالفتحة فى غالب الأمر لخفتها (٥٩) •

بين غيه ابن الأثير أن بعض الحركات ثقيلة كالضمة والكسرة ، وبعضها خفيغة كالفتحة ، وإذا توالت حركتان خفيفتان فى كلمة واحدة لم تستثقل ، بخلاف الحركات الثقيلة ، فأنه أذا توالت منها حركتان فى كلمة واحدة الستثقلت (٦٠) .

ولاثبات أثر الحركات في خفة الكلمة وثقلها ضرب ابن الأثير مثالاً بلفظة مؤلفة من ثلاثة أحرف هي: «جزع» فاذا جعانا الجيم مفتوحة أو مكسورة ، كان ذلك أحسن من أن أو جعلناها مضميرمة، وكذلك أذا فتحنا الجيم والزاى كان ذلك أحسن من ضمهما ، واختلاف درجة حسن الكلمة هنا أيس سببه مخارج حروفها ، بل سببه حركاتها ، لأن مخارج الحروف واحدد في جميع الحالات والاختلاف واقع في الحركات ، فعلمة أن حسنها وقدحها حادث عن اختلاف تأليف حركاتها ، مركاتها (٦١) ،

وينط ابن الأثير وجود شذوذ عن هذه القاعدة ، فقد يتوالئ الضم في معض الألفاظ ولا يحدث كراهة ولا يوجد ثقلا ، كما في قوله

⁽٥٨) الجامع الكبيع: ٣٤٠

⁽٥٩) الخصائص : ١/٧٥ ، 🗚 ٠

⁽٦٠) المثل السائر ١٠٧١ -

ر (٦٣،٦١) السابق : ٢٠٧/١ ··

تعالى: « فتماروا بالنذر » وقوله تعالى: « أن المجرمين فى ضلاله وسعر » وقوله تعالى: « وكل شيء غطوه فى الزبر » (٦٢) فحركة الضم فى الفاظ « النذر وسعر والزبر » متوالية وليس بها من ثقل ولا كراهة (٦٣) ٠٠٠

ورد على هـذا الماحظ بأنه لا ينقض الشرط الذى قرره ، لأن الغالب أن يكون توالى حركة الضم مستثقلا ، فاذا شـذ عن ذك شىء يسير لا ينقض الأصل المقيس عليه (٦٤) •

ربهذا بيختم أبن الأثير حديثه عن فصاحة الكلمة ، ومن دراستنا له الري أن شروط فصاحة الكامة عندد هي :

- ١ ــ ألا تكون الكلمة وحسية ٠
 - ٢ ـ ألا تكون مبتذالة •
- ٣ ـ ألا تتكون مشتركة بين معنيين أحدهما يكره ذكره ٠
 - إلا تكون مؤلفة من حروف يثقل النطق بها
 - ه _ ألا تكارن مبنية من حركات ثقيلة •

كما نرى أنه اعتمد على ابن سنان فى كثير مما قاله ، وأن النقد الذى وجهه ألى بعض شروطه حججه وأهية ، والرد عايها سهل ميسور،

وقد تناقض كلامه فى بعض هذه الشروط بين كتابيه (الجامع وبعد هذا لا يمكن التقليل من شأن دراسة ابن الأثير لفصاحة الكلمة ، فقد جاءت دراسة مفصلة الجرانب ، قائلمة على التحليل والتعليل مدعمة بالأمثلة والشواهد الكثيرة ، مما جعلها مصدرا لكثير من البلاعيين والنقاد من بعده •

⁽٦٢)، القمر : ٣٦، ٤٧ ، ٥٠ .

⁽٦٤) المثل السائر ٢٠٨٧١ -

الكبير » و« المثل السائر » حيث وافق عليها وأيدها فى كتابه الأول ، واعترض عليها فى كتابه الثانى •

كمال الدين البحراني ((ت ٦٧٩ ه)):

تحدث الشيخ كمال الدين ميثم ابن على البحراني في كتابه الموجز « أصول البلاغة » عن الفصاحة والبلاغة • وبين شروط الحسن في الكلمة المفردة وهي (٦٠) :

١ ـ توسطها فى قلة الحسروف وكنرتها • وأعدب الكلمات الثلاثية ، لاشتمالها على المبدأ والوسط والنهاية ، فان الحرف الواحد لا يفيد ، والتى من الحرفين ليست فى غاية العدوية ، والرباعيسة والخماسية ظاهرتا الثقل •

۲ — الاعتدال فى حركاتها ، وأعدلها حركتان وساكن ، فان أعوز فثلاث حركات ، وأما توالى أربع حركات ففى غاية الثقل ، والخمس بالأولى ، ولذلك لا يحتملها الشعر .

- ٣ أن تكون عربية غير موادة ، ولا صادرة عن خطأ العامة
 - ٤ ـ أن تكون جارية على مقاييس كلام العرب
 - ه ـ ألا تكون غربية وحشية ٠

ويهذا الكلام الموجز حدد البحرائي شروط فصاحة المفرد ،وهي شروط تحدث عنها من سبقه من البلاغيين •

خارِم القرطاجني (ت ١٨٤ ه » :

لا نستطيع وضع تصور كامل لنظرة حازم الى الكلمة وفصاحتها، وذلك نضباع القسم الأول من كتابه « منهاج البلغاء وسراج الأدباء »

⁽٥١٥) أصول البلاغة : ٤٣ ، ٤٤ ؛

والراجح أن هذا كان من بين موضوعاته ذمن اشارات هازم الى بعض موضوعات هذا القسم ، ومن نقول السبكى والزركشى عله ، استنتج محقق الكتاب أن هذا القسم يتناول القول وأجزاءه ، والأداء وطرقه ، والأثر الذى يحصل للسامعين عن صدور الكلام (٦٦) .

ومن اشارات حازم الى موضوعات هذا القسم قول : وقد تقدم الكلام فيما تكون عليه الألفاظ فى أننسها ، وبالنظر الى هياتها ودلاتها ، وكيفية مواقع تلك الهيئات بدلالتها من النفوس (٦٧) •

وقوله فى جهات حسن الكلام ، وتلك الجهات هى اختيار الموالد اللفظية أولا من جهة ما تحسن فى ملافظ حروفها ، وانتظامها ، وصيعها، ومقاديرها ، واجتناب ما يفتح فى ذلك • وقد تقدم (٦٨) •

فهذال النصان يوضحان أن الحديث عن الألفاظ وما يتصل بفصاحتها من موضوعات القسم المفقود من الكتاب •

ومن ثم فاننا سنذكر ما يخص الكلمة مما هو موجود فيما بقى من كتابه ، ومما نقله عنه السبكى فى «عروس الأفراح » •

الكلمة وإنتقاؤها:

أشار حازم الى أهمية الألفاظ ووجوب اختيارها وانتقائها ، فهى المتى تدل على الصور الذهنية ، وتبرزها الى حيز الوجود ، ومن ثم يكون النظر فى صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدال على الصور الدهنية فى نفسه ، ومن جهة ما يكون عليه بالنسبة الى موقعه فى النغوس من جهة هيئته ودلالته ، ومن جهة ما تكون عليه تلك الصور الذهنية فى أنفسها (٦٩) ٠٠٠

⁽٦٦) منهاج البلغاء « المدخل ، : ٩٤ ·

⁽٦٧) منهاج البلغاء: ١٧٠

⁽٦٨)، السابق: ٢٢٢٠

⁽٦٩) السابق : ١٧ ، ١٩ ٠ ٠

والأنفاظ في التأليف، بمنزلة الأصباغ في الصبورة، فاذا كانته الأصباغ جيدة، حسنة التأليف، متناسبة الأوضاع، حسنت الصيرة وسرت العين برؤيتها، أما اذا كانت الأصباغ رديقة، متنافرة الأوضاع، قبحت الصورة، ونبت عنها العين، ولم تتمنع برؤيتها، وان كان تخطيطها صحيحا، فكذلك الأنفاظ الرديئة، والتأليف المتنافر، وان وقعت بها المحاكاة الصحيحة، الا أن السمع يتأذى بمرور تلك الألفاظ الرديئة القبيحة التأليف عليه، ويشعل النفس تأذى السمع عن التأثير المقتضى المحاكاة والتخييل، ولذلك كانت الحاجة في هذه الصاعة الى الختيار اللفظ، وأحكام التأليف أكيدة جدا (٧٠) س

وبهذا أكد حازم على اختيار الألفاظ وانتقائها لتدل على المعانى الذهتية أحسن دلالة •

التنسافر ،

أكد حازم على حسن التأليف ، وتلاؤم الكلام ، وفى سبيل ذلك ينبغى أن تأتف حروف الكلمة مع بعضها ، وتأتلف الكلمة مع الكامسة التى تلاصقها ، فقال : والتلاؤم يقع فى الكلام على أنحاء : منها أن تكون حروف الكلام بالنظر الى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها ، وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمه فى حروف بعضها ، وائتلاف جملة كلمة مع جملة كلمة تلاصقها منتظمه فى حروف مختارة ، متباعدة المخارج ، مترتبة الترتيب الذى يقع فيه خفة ونشاكل ما ، ومنها ألا تتفاوت الكلم المؤتلفة فى مقدار الاستعمال ، فتكون الواحدة فى نهاية الابتلاف والأخرى فى نهاية الحوشية وقلسة الواحدة فى نهاية الابتلاف ، والأخرى فى نهاية الحوشية وقلسة الاستعمال (٧١) ،

⁽٧٠) منهاج البلغاء : ١٣٩

⁽٧١) منهاج البلغاء: ٢٢٢ •

ونامح فى هذا النص تأثره بابن سنان الخفاجى ، حيث يرى أن الكلمة ينبعى أن تؤلف من حروف مختارة متباعدة المخارج ، مرتبسة ترتيبا فيه خفة وتشاكل ، وبذلك تخلو الكلمة عن النتافر .

الفسرابة:

يرى حازم أن الكام بنبغي أن تكون واضحة الدلالة ، خالية من الغراب ونحوها ، مما يؤدى الى اغماض المعنى واشتكاله ، اذ يعرض من ذلك ألا يعلم ما يدل عليه اللفظ ، أو أن يتذيك أنه دل على غير ماجىء به الدلالة عليه ، فيتعذر فهم المعنى لذلك (٧٢) .

ومما يجب على الشاعر وغيره في سبيل ايضاح المعنى :

أ ــ أن يجتنب ما توغل فى الحوشية والغرابة ما استطاع حتى . تكون دلاته على المعانى واضحة وعبارته مستعذبة •

ب _ أن ينوط بالألفاط المستركة التى تدل على معنيين أو أكثر، من انقرائن ما يخاص معناها الى الفهوم الذى قصده ، حتى يكون المعنى مستبينا •

ومما ورد من المسترك واضطرب الناس فى تأويا العدم القرينة، قسول الحارث بن حازة:

زعدوا أن كل من خرب العير موال لنا وأنبي الولاء!

فقيل : أراد با بعدير الوتد ، وأراد بالضاربين العرب ، لأنهم كانوا أصحاب عمد ، وقيل : أراد عير العين ، وهو ما نتأ منها ، أى كل من صرب عير عينه بجفنه ، وقيل : أراد بالعير ما يطفو على الدوض من الأقذاء ، وأصله التشديد وهو العائر والعير ، فخفف كما قيل : هين وهين ، وقيل فيه وجوه أخر .

⁽٧٢) منهاج البلغاء: ١٧٣٠

ج - أن يجتب النفظ الذي يشتبه في تركيه لعارض و ومن ذلك أن تكون كلمة قد وصلت بحرف ، أو حذف منها حرف ، فتتصل بكلمة يحتمل لفظها أن يكون الحرف الموصول بالأول داخلا عليها أو من جملة حروفها ، أو يكون قد دخل على الثانية حرف يخيل لك أنه صلة للأولى ، أو تتمة لما نقص منها فيعرض من هذا فهم الكلام على غير وجهه ، ومن هذا قول امرىء القيس :

يظعنهم سلكى ومخاوجة لفتك لأمين على نابك (٣٧) لأن الكاف في « الفتك » محتملة أن تكون ضميرا مضافا اليها ما قبلها ، وأن تكون حرفا جارا لما بعدها ٠٠٠ (٧٤) ٠

الابتسدال:

وكما أوجب حازم طرح الغريب الحوشى وما فى حكمه من المسترك والمستبه فيه ، دعى الى اجتناب المبتذل من الألفاظ • فأحسن الألفاظ ما عذب ولم يبتذل فى الاستعمال (٧٥) ، والألفاظ المستعذبة المترسطة فى الاستعمال ، أحسن ما يستعمل فى الشعر ، لمناسبتها الأسماع والنفوس، وحسن موقعها منها (٧٦) •

⁽٧٣) السلكي بضم السين وسكون اللام: الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه، والمخلوجة: الطعنة ذات اليمين وذات الشمال، واللفت: الرد واللي ، واللأمين: السهمين عليهما الريش ، مفردها لأم ، يقال: لأمت السهم لأما أي رشته ، الصحاح مواد: خلج الاسلك ولفت ولأم ، والمعنى: نطعنهم الطعنة المستقيمة والجانبية وكأنهما طعنة واحدة من شدة سرعتهما كما ترد سهمين على رام رمى بهما تعيدهما عليه مرة واحدة شعمن منهاج البلغاء: ١٨٤ - ١٨٦ ،

⁽٧٥) منهاج البلغاء : ٨٢

٠ ٨١ : السابق : ٨١ ٠

ويفضل حازم اللفظ الذي قد يخفى على بعض الجمهـور ، مادام عذبا ، وهو عنده أفضل من المبتـذل ، فاللفظ المستعذب وان كان لا يعرفه جميع الجمهـور ، مستحسن ايراده في الشـعر ، الأنه مع السـتعذاب قد يفسر معناه لن لا يفهمه ما يتصل به من سائر العبـارة(٧٧) .

وعلى هذا يجب أن تكون الألفاظ وسلطا بين العريب والمبتدل ، اليست ساقطة عامية ، ولا متوعرة وحشية (٧٨) ، وهذا ما نص عليب ابن ستان الخفاجي ، ونسبه الى الجاحظ .

الكلمة بين كثرة الاستعمال وقلته :

والألفاظ منها ما كثر دوراته على ألسنة العرب ، ومنها ما قسل استعماله ، ومنها ما استعمله المحدثون دون العرب ، ومنها ما استعمله المعرب والمحدثون ، ولكل نوع من ذلك حكم يخصه ، وقد أفاض حازم في بيان ذلك ، وقسم الكلمة بهذه الاعتبارات تسعة أقسام :

الأول : ما استعملته العرب دون المحدثين ، وكان استعمال العرب له كثيرا في الأشعار وغيرها ، فهذا حسن فصيح .

الثانى: ما استعملته العرب قليلا ولم يحسن تأليفه ولا اسيفته، عهذا لا يحسن ايراده .

الثالث: ما استعمله العرب ، وخاصة المحدثين دون عامتهم ، فهذا أحسن جدا ، لأنه خلص من حواتية العرب وابتذال العامة .

الرابع: ما كثر فى كلام العرب، وخاصة المحدثين وعامتهم، ولم يكثر فى السنة العامة فلا بأس به .

⁽۷۷) منهاج البلغاد: ۲۹ ع

⁽٧٨) السابق : ١٨٩٠

الخامس الم كان كذلك ، والكله كثر فى ألسنة العامة، وكان لذلك المعنى اسم استغنت به الخاصة عن هذا ، فهذا يقبح استعماله لابتذاله .

السادس: أن يكون ذلك الاسم كثيرا عند الخاصة والعامة وليس له اسم آخر ، وليست العامة أحوج لذكره من الخاصة ، ولم يكن من الأشياء التي هي أنسب بأهل المهن ، فهذا لا يقبح ، وليس يعد مبتذلا ، مثل لفظ الرأس والعين •

السابع: أن يكون كما ذكرتاه ، الا أن حاجة العامة له أكثر ، فهو كثير الدوران بينهم كالصنائع ، فهذا مبتذل .

الثامن : أن تكون الكلمة كثيرة الاستعمال عند العرب والمحدثين لمعنى ، وقد استعملها بعض العرب نادرا لمعنى آخر ، فيجب أنيجتنب هذا أيضا .

التاسع: أن يكون العرب والعامة استعملوها دون الخاصة ، وكان استعمال العوام لها من غير تغيير ، فاستعمالها على ما نطقت به العرب ليس مبتذلا وعلى التغيير قبيح مبتذل (٧٩) •

فبين حازم في هذا التفصيل حكم الكلمة حسنا وقبحا ، بناء على كثرة استعمالها وقلته ، ونوع المستعملين لها عربا أو محدثين وخاصة أو عامة .

ولهذا التفصيل أصل عند ابن الأشير ، حيث ذكر في حديثه عن ابتذال الكامة ما كان من الألفاظ دالا على معنى وضع له في اللغة ،

⁽٧٩) عروس الأفراح : ١/٩٣ . ومنهاج البلغاء : ٣٨٥ .

فغيرته أَلْمَامَة ، وجعَلَتُه دالا على مَعْنَى أَخَر ، وَمَا لَمَ تَعْيرَه المسامة عن وضعه ، وانما أنكر استعمّاله لأنه مبتذل بينهم (٨٠) •

وكُثرة دوران الكَلمة على السنة العرب الفصحاء من مقساييس فصاحة الكُلمة عند البلاغيين ، وقد جعلها السكاكي ومن تبعه عسلامة على مصاحة الكامة (٨١) •

المُقَالِية المُرْفُ اللَّهُولِيُّ :

أشار حازم الى الضرائر باغتبارها خطأ فى القياس يجب بوقيته والاحتراز عنه ، وبين رأيه فيها فقال : الضرائر السائعة منها المستقبح وغيره ، وهو ما لا تستوحش منه الننس كصرف ما لا يتصرف ، وقد تستوحش منسه النفس فى البعض كالأسسماء المحدولة ، وأسلا ما تستوحشه النفس ، تتوين أقمل منه ، ؤما لا يستقبح قصر الجملع المحدود ، ومذ الجمع المقصور ، ويستقبح منه ما أيرى الى التباس عمم بجمع ، مثل رد مطاعم الى مطاعم ، أو رد مطاعم الى مطاعم ، فأنه يؤدى ألى التباس مطعم بمطاعم ، وأقبل الضرائر ، الزيادة فأنه يؤدى ألى التباس مطعم بمطاعم ، وأقبل الضرائر ، الزيادة فأنه يؤدى ألى التباس مطعم بمطاعم ، وأقبل الضرائر ، الزيادة

من حوثما نظروا أدنو فأنظور

أَى أَنظر : أو الزيادة المؤدية لما يقل في الكلام كُلُمُّولَ آمرَ فَيُ الْعَنَيْسَ فَ الكلام كُلُمُّولَ آمرَ فَيُ الْعَنَيْسَ فَ بعنس الروايات :

عامات شيغالي

⁽۸۰) ينظر المثل السائل: ١﴿١٩٦ ـ ١٠٠ وَ كُلُّ وَ الْمُعَالَ : ١﴿١٨ وَمِعْنِيةَ الْاَيْضِاحُ : ١﴿١٨ وَمِعْنِيةَ الْاَيْضِاحُ : ١﴿١٨ وَمِعْنِيةَ الْاَيْضِاحُ : ١ ﴿١٨ وَمِعْنِيةَ الْاَيْضِاحُ : ١ ﴿١٨ وَمِعْنِيةَ الْاَيْضِاحُ : اللَّهُ مَا اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ الْلَّالِمُلَّالِمُلَّالِمُ اللَّهُ اللللَّالِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللللَّا لَمُلْعُلِّمُ الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ ال

أراد شمالى ، وكذلك يستقبح النقص المجمف كقول أبيد :

حرس المنا بمتالع فأبانا

أراد المنازلة ، وكذاك العدول عن صيغة الأخرى كقول الحطيئة : فما الزجاج وفيها كل سابغة جدلاء محكمة من نسج سلام

أراد سليمان عليه السلام (٨٢) .

غيرى حازم أن الضرائر التي أجازها اللغويون منها القبيح الذي تستوحشه النفس ، ومنها ما لا يستقبح ، وهو ما لا يؤدى الى التباس وخروج شديد عن العرف اللغوى ، والضرائر عيب من عيوب الفصاحة ، اذ تكور الكلمة جارية على غير العرف العربي الصحيح ، ومخالفة للقياس ، وقد أتسار ابن سنان الى ذلك ، وبين أن الضرورات السعرية تصرف ما لا ينصرف وعكسه وقصر المدود ، وغيرها لا تؤثر كثيرا في فصاحة الكلمة غير أنه يرى صيانة الكلمة عنها، لأنها صفات نقص ، والفصاحة تنبىء عن اختيار الكلمة وحسنها (٨٣)

ولما كانت الضرائر من عيوب الكلمة بين حازم أنه يدبغى التشدد في اجازتها ، وعدم التوسع في قبولها ، فيجب آلا يقبل من الضرائر الا ما وجد فيما اجتمعت عليه الروايات الصحيحة ، من كلام عليسة الفصحاء منهم ، مما تحقق براعته وانتسابه اليهم (٨٤) .

اعتدال الكلمة في التاليف:

ذكر حازم أن الكلمة الفصيحة بيبغى أن تكون معتدلة فى تأليفها، فتكون مترسطة بين قلة الحروف وكثرتها ، والمتوسطة ثلاثة أحرف ،

⁽۸۲) عروس : ۱/۸۹ • ومنهاج البلغاء : ۳۸۳ •

⁽۸۳) سر الفصاحة ۷۶ •

⁽٨٤) منهاج البلغاء: ١٨٠ ، ١٨١ ٠

هان كانت الكلمة على حرف واحد مثل « ق » فعل أمر قبحت في الوصل ، وأن كانت على حرفين لم تقبح الا بأن وليها مثلها (٨٥) •

وبين حازم حسدود القصر والطول والتوسط فقال: المفسرط فى القصر ما كان على مقطع مقصور ، والذى لم يفرط ما كان على سبب، والمتوسط ما كان على وتد ، أو على سبب ومقطع مقصور ، أو على سببين ، والذى لم يفرط فى الطول ما كان على وتد وسبب ، والمفسرط فى الطول ما كان على وتدوسبين (٨٦) .

فجمل اللفظ من حيث تأليفه خمسة أقسام:

- ۱ ــ قمير . وهو ما تكون من درفين .
- ٢ ــ مفرط في القصر ، وهو ما تكاون من حرف واحد .
- ٣ ... متوسط ، وهو ما تكون ثلاثة أحراف ، أو أربعة
 - علويل ؛ وهو ما تكون من خمسة أحرف •
- د ــ مفرط في الطول وهو ما تكون من سئة احرف الو سبعة و وقسم حازم الكلمات الطويلة من حيث أصاعا قسمين :
 - ١ ــ أن تكاون الكلمة طويلة بأصل وضعها ٠
- ٢ ــ أن تكون الكلمة متوسطة فتطيلها الصلة وغيرها ، كقسول المتنب ::

خلت البلاد من الغزالة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا

وقدول أبى تمام:

ورفعت المستنشدين اوائي(٨٧)

⁽٨٥) عروس الأفراح : ١/١١ ٠

⁽٨٦) عروس الأفراح: ١/١١، ومنهم البلغاء: ٣٨٤ -

⁽۸۷) السابق • وصبير البهت : والى محمد ابتعثت قصائدى • سر النصاحة : ۷۹ •

وقد سبق ابن سنان الى جعل اعتدال تأليف الكلمة من شروط فصاحتها ، ومتى زادت الكلمة في حروفها عن الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجه من وجوه الفصاحة (٨٨) • واعترض عليه ابن الأثير في هذا الشرط ، كما سبق أن بيناه • وأخذ حازم بهذا الشرط في فصاحة الكلمة •

اجتماع الحركات الثقيلة:

وهذا مما يتصل باعتدال تأليف الكلمة ، فينبغى في الكلمة الفصيحة أن تتلاءم حركاتها ، ولا تجتمع فيها الحركات الثقيلة حتى لا يؤدى هذا الى ثقاها ، والى هذا أشار حازم ، فجعل من المستقبح تتابع الكسرات وحروف العلة نحو « الكيمياء »(٨٩) • وبين كراهة « الجرشى » في قول المتنبي ، وعله بتتابع الكسرات ، وتماثل الحروف، وكونها حوشية (٩٠)، و

وهذا الشرط غير موجود عند ابن سينان ولكن سبق اليه ابن الأثير ، حيث جعل من شيروط فصاحة الكلمة أن تكون مبنية من حركات خفيفة ليخف النطق بها ، وأشار الى أن وجود شيذوذ عن هذه القاعدة في بعض الألفاظ ، بعدم كراهتهما وثقلها مع تسوالى الحركات الثقيلة فيها ، لا يتقض هذم القاعدة ، لأنها قائمة على الأعم الغياب (٩١) •

⁽۸۸) سر الفصاحة: ۷۸

⁽٨٩) عروس الأفراح : ١/٤٤ • ومنهاج البلغاء : ٣٨٧ •

⁽٩٠) عروس الأقراح : ١/١٤ •

⁽٩١٩) المثل السائر: ١٨١٠٠ ـ ٢٠٨٠.

وقد جعل ابن سفان لفظة « كيمياء » من الفاظ العوام المبتذلة ، وليست من الفاظ الخاصة ، ولا يحسن نظم مثلها (٩٢) •

المستعمل في أمر مكروه:

بين حازم أن الفظ المعبر به ينبغى ألا يكون دالا على أمر مكروه في استعمال آخر ، فقال : وقد تكون للعبارة دلالة على أمر مكروه خارج عما جيء بها للدلالة عليه ، أما باشتراك وقع في اللفظاء و بعرف واستعمال حدث نبه ولو العامة ، فيجب أن يتحفظ من ذلك ، حيث تتهيأ تلك العبارة بنفسها ، أو مع ما يكتنف بها ، لأن يفهم منها بحسب الاشتراك الواقع ذيها ، أن بحسب العرف والاستعمال ، أمر قبيح في حق ممدوح ، أو مندوب، أو منسوب به، أو نحو ذلك مما يكره في حقه القبح ، ومن ذلك قول الصاحب في عضد الدولة :

ضممت على أبناء تغلب تاءها فتغلب ماكس الجديدان تغلب

فقال عضد الدولة : يقى الله ! (٩٣) .

ومما أكد القبح في هذه اللفظة التي هي قوله «تغلب» وقوعها قافية ، فانها مقطع الكلام ، وموضع تخلق السامع وتفرغه لتفقد ما مر على سمعه مما وقع فيها ، فالسمع أقرب عهدا به وهو أشد ارتصاما فيه ، ولو وردت اللفظة التي أنكرها عضد الدولة في أعساء البيت لكان الأمر فيها أسهل (١٤) .

وبحازم في هذا الموضع ينقل عن ابن سنان ما ذكره في حديث عن القافية اذ قال : ومما يجب أن يعتمد في القافية ألا تكون الكلمة اذا

⁽٩٢) سر الفصاحة : ٦٦ ٠

⁽٩٣) منهاج البلغاه: ١٥٠ ٠

⁽٩٤) منهاج البلغاء: ١٥١٠

سكت عليها كانت محتملة لمعنى يقتضى خلاف ما وضع الشعر له ٠٠٠ وذكر بيت الصاحب بن عباد المذكور ، وبين أن قسوله « تعلب » فى قافية البيت ، جعلت عضد الدولة يتطير من مواجهته بها ، ولو قالها فى وسط البيت لم يكن فى ذلك من القبح ما كان فى القافية ، لأنهسا موضع قطع وسكوت ووقوف على ما مضى واستثناف لما يأتى (٩٥) .

ومما يتصل بهذا الشرط وان كان لا يظهر الا في التأليف :

١ -- التحفظ من الألفاظ التى يفهم منها ريب أو فحش بولو بعرف عامى أو استعمال لأهل الهزل ، فهذا مما يجب صون الكلام عنه ، ومثل حازم لذلك بقول المنتبى فى أم سيف الدولة :

رواق العز فوقك مسبطر وملك على ابنسك في كمسال

فافظه « مسبطر » بعد قوله للمرأة « فوقك » قبيحة ، ولاسيما بعد أن استعملها ابن حجاج حيث استعملها وعرف ذلك من قوله (٩٦)

ونحو منه تمول مروان ابن أبى حفصة فى زبيدة بنت جعفر:

ويسوق هازم وصية بعض الشيوخ فيقول: وقد كان بعض الشيوخ الذين أخذت عنهم هذه الصناعة يوصى باجتناب الألفاظ التى يفهم منها على حدتها ، أو مح ما يكتنفها معنى قبيح ولو بالعرف العامى(٩٨) .

⁽٩٥) سر القصاحة : ١٧٤ •

⁽٩٦) منهاج البلغاء: ١٥١٠

⁽۹۷) السابق: ۱۵۲

⁽٩٨) منهاج البلغاء: ١٥٢٠

٧ ــ عدم استعمال الكلمة فى ضد ما تستعمل فيه عرفا ، فاذا عرف فى كامة استعمالها فى طريق من الطرق ، فالواجب ألا تستعمل فى مضاد ذلك الطريق ، وذلك كقول حبيب :

يا أبا جعفر جعلت فداكا بزحسن الهجوه حسن قفاكا

فالقفا ليس يليق الا بطريقة الذم وكذلك الأخدع والقذال مفاستعمال هذه الالفاظ في المدح مكروه (٩٩) .

وقد سبق الخفاجي الى بيان هذا ، وضرب له أمثلة كثيرة منها قول أبى تمام السابق(١٠٠) •

وهذا الذى قدمناه هو ما استطعنا ايراده من أقوال حازم مما يخص فصاحه المفردة ، ومنه يرى أنه يستمد كشيرا من كلام الخفاجى وابن الأثير ، ومن ثم دار في فلكهما وهو يبين ما يتصل بفصاحه الكامة ، فلم يخرج عن شروطهما ، وإن كان فصل في بعض المسائل كما رأينا في حديثه عن حكم الكلمة تبعا لكثرة استعمالها وقلته ،

بوهو على العموم متأثر فى كتابه بابن سنان ، وكثيرا ما بيمــكى أهواله ، وينقـــل عنه(١٠١) •

⁽٩٩) منهاج البلغاء : ١٥٢ ٠

[،] ۱۲۸ ، ۱۶۰ ، ۱۴۰ ، ۱۳۸ ، ۱۳۸ ، ۱۶۰ ، ۱۲۸ ، ۱۲۸ ، ۱۲۸ ، ۱۲۸ ، ۱۲۸ ، ۱۸۲ ، ۱۸۲ ، ۱۸۲ ، ۱۸۲ ، ۱۸۲

⁽١٠١) ينظر سر الفصاحة ١٥٧ ، ١٥٤ ٠

بدر الدين بن مالك (ت ١٨٦٦):

عرض بدر الدين بن مالك الفصاحة بايجان في كتابه « الصباح في المعانى والبيان والبديم » • وعرف الفصاحة بأنها : صوغ الكلام عبلى وجه له توفية بتمام الأفهام العناء وتبيين المراد مهه (١) •

والفصاحة عنده نوعان " معنوية ولفظية.:

فالفصاحة المعنوية : هي خلو الكلام عن التعسف والتعقيد بحيث يكون طريقه الى المعنى واضحة على وفق مقتضى الظاهر ، أو ما فيها من معاطف فقد نصب عليه المنار واوقد فيها الانوار ، ولم يخف مسلك المعنى حتى لا يدرى من أبين اليه يتوصد ، ولا بأى شى معناه يتحدل ، كفول الغرزدق :

وما ه ثله في الناس الا مملكا ابو أمه حي أبوه يقاربه (٢)

والفصاحة اللفظية: أن تكون الكلمة جارية على القياس ، سياللم عن انتنافر ، والابندال ، دائسرة على الألسن ، لا مما أخطأت فيه العامة ، ولا مما أحدث الموادون • فان الكلمة متى لم تكن كذلك ربما مجها السمع ، ونبا عن قبولها الطبع ، وقلت عناية السامع بالكلام ، فلم يحصل على ما له من الافهام •

⁽١) المسباح: ١٥٩٠

[·] ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٢)

وقد ظهر من هذا أنه لابد في تكميل القصاحة من ابائة المهنى باللفظ اللفتار ، وهي من متممات البسلاغة ، ومما يكتبو الكلام حلة التربين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين (٣) .

ومن الفظر في كلام ابن مالك عن الفصاحة اللفظية نرى أنه يشترط في فصاحة الكلمة ما يلي :

- ١ __ أن تكون الكلمة جارية على القواس
 - ٢ ــ أن تكون سالمة عن التنافر
 - ٣ ــ أن تكون غير مبتذلة ٣
 - ٤ ــ أن تكون دائرة على الألسن ٠
 - ه ـ ألا تكون مما أخطأت فيه العامق.
 - ٠ _ الإستكون مهاراهديد المولدون ٠

وهذه الشروط هي بعينها شروط السكاكي التي سبق جديثتا عنها ، ، وبينا أنها مستفادة من شروط ابن سنان الخفاجي .

غير أن أبن مالك نص على عدم ابتذال الكلمة ، وهذا ما لم يرد مراحة عند السكائى ، وأن كان يدخل فى العامى والمولد ، ولعل هذا مما تأثير فيه جابن الأثير الذى نص على هذا الشرط وفصل الحديث عنب (٤) .

⁽۲) السابق: ۱٦١ •

⁽٤) المثل السائر : ١٩٦١/١ •

ولا يقتصر الله ابن مالك من السكاكى على هذه الشروط ، فقده القل عنه في هذا الموضوع تقسيم النصاحة الى لفظية ومعنبوية ، وشرحه لكل قسم منهما .

كما تأثر به فى وضع حديثه عن الفصاحة فى مقدمة حديث عن علم البديع بعد انتهائه من الحديث عن علم البيان •

ولا عجب في ذاك فكتاب « المصباح » لابن مالك هو تلخيص والختصار القسم الثالث من كتاب « المفتاح » للسكاكي » مع التوسيع في الشواهد ، والاستفادة بكتب الآخرين(٥) •

وذكر الدكتور شوقى ضيف آن بدر الدين بن مالك أدخل فى كتابه بعض تعديلات على منهج السكاكى من ذلك أنه نقل مبحث البلاغة والفصاحة من ذيل البيان الى فاتحة المختصر (٦) • ونقل محقق المصباح هذا الكلام دون تعقيب(٧) •

والصحيح أن ابن مالك لم ينقل مبحث البلاغة والقصاحة معا ، بل نقل الحديث عن البلاغة فقط الى مقدمة كتابه ، أما الحديث عن الفصاحة فأبقاه فى موضعه وجعله مقدمة للحديث عن علم البديع كما فعل السكاكى (٨) •

الطوقى (ت ٧١٦ھ) :

عقد سليمان بن عبد القدوى الطوف فصلا جيدا ف كتابه « الأكسير في علم التفسير » شرح ميه صفات الألفاظ التي تستحق

⁽٥) ينظر البلاغة تطور وتاريخ: ٣١٥، ومقدمة تحقيق الصباح: م (٢،٦) ينظر الرجعان السابقان •

⁽٨) ينظر المصباح: ١٥٩،٤،٣ ـ ١٦١ • وينظر مفتاح العلوم :٢٣٠

⁽٨) ينظر المسباح : ١٥٩،٤،٣ - ١٦١ • وينظر مفتاح العلوم :٢٣٤

بها الحسن والجودة ، مستقيدا من الخفاجي وابن الأثير وغيرهما ، ومتعقبا ابن الأثير ف بعض آرائه .

رق بداية هذا الفصل بين أن الألفاظ ضربان : مفردة ، ومركبة ، ولا منهما صفات تستحق بها رتبة الحسن والجودة (١) •

ثم تحدث الطوف عن صفات الأافاظ المفردة وهي ست:

الصفة الأولى: تباعد مخارج حروفها •

وقد أشار ألى أن هذا الشرط مبنى على الغالب ، فليس المراد أن متباعد المخارج يستلزم الحسن • ومتقاربها يستلزم الرداءة ، بل ان الغالب على الأول الجودة ، وعلى الثانى الرداءة ، وقسد يكون حسنا كالجيم والشين والياء ، فهى متقاربة ويتركب منها : جيش وشجى ، وهما لفظان رائقان جيدان (٢) •

وبين الطوفى في العلة في جسودة ما تباعدت مخسارجه ، وردامة ما تقاربت مخارجه حاكيا رأى ابن الأثير ورأى الخفاجي في ذلك :

نرأى ابن الأثير يقوم على أن ما تباعدت مخارجه يحصل للنطق في تأنيفه مهلة وأناة ، فتجىء الحروف مستقرة ممكنة ، كمن يمشى في أرض سهلة مستوية ، رما تقاريت مخارجه فان النطق في تأليف لا يخرج من مخرج الا وقد غيره فيما بعده ، فتجىء حروفه قلقلة مكدودة غير مستقرة ولا ثابتة كمن يمشى في أرض وعرة كثيرة الصعود والعبوط ٥٠٠ وهذا وجه حسن (٣) .

⁽۱) الأكسر: ۱۸۰

⁽٢) السابق •

⁽٣) الآكسير : ٧٣ ، وينظر الجامع الكبير : ٤١ .

ورأى الخفاجى يقوم على أن نسبة الأصوات الى حاسة السمع كنسبة الألوان الى حاسة البصر وكما أن الألوان كلما تباعدت كانت احسن ، فكذلك الأصوات ٠٠٠ وهذا توجيه حسن جميل(٤) ٠

وساق الطوف اعتراص ابن الأثير على توجيه الخفاجى وتعقبه فى هذا الاعتراض ، ورد عليه ردا مطولا ، ورجح توجيه الخفاجى(٥) ، وقد ذكرنا ذلك فى حديثنا عن الخفاجي ، قالا مجال لتكواره .

ونظر لما لمخارج الحروف وصفاتها من صلة بهذا الشرط، فقد فصل الطوف القول في الحروف ومخارجها وصفاتها ، وبين ما يحسن منها في الأبنية ، وما يقبح ، وأوجب رعاية هذه الاعتبارات في الألفاظ ليكون الكلام سلسا على اللسان(٦) .

الصفة الثانية: أن تكون مألوفة قد صقلتها الألسن ، وأنست بها الأسماع والقلوب لكشرة دورانها في الاصطلاح ، غير وحشية ولا متوعرة (٧) .

ويشير الطوفى هذا الى أصل ينبغى مراعاته ، هو أن وصف الكلمة بأنها مألوفة أو وحسية ليس لذاتها ، بل صدغة اضافية لها ، فهي بالاضافة الى من كثر دورانها فى كلامه ، وأدس بها سمعه مألوفية ، وبالاضافة الى عكسه بالعكس • ألا ترى أن العوب كانوا يستعملون ، فى مفاوضاتهم ألفاظا لا يفهمها من أهل زمفنا الاكل فاضل بارج النظر

⁽٤) الأكسير : ٧٣ ، وينظر سر الفصاحة : ٦٦ ٠

⁽٥) ينظر الاكسير: ٧٣ ـ ٧٥ -

⁽٦) ينظر الأكسير: ٦٨ _ ٧٢ -

⁽٧) الاكسير : ٥٠٧ •

في كتب اللغة ، وكان ذلك بالنسبة اليهم فصيحا حسنا رائقا كالألفاظ التي في حديث أم زرع ، وحديث طهفة النهرى ، ولو استعملها أحد من حؤلاء المحاضرة تكلفا لعد قبيحا ، ومن عده فصاحة أخطأ(٨) •

ويرى الطوف أن الناظم أعذر من النائر فى استعمال الوحشى النطلاق عنان الناثر فى التأليف ، وتقييد الناظم بالعروض والقافية ، لكن ينبغى للناظم اجتناب الوحشى ما أمكن (٩) •

وقد تأثر ف هذا بابن الآثير الذي سبق الى التفريق بين الناظم والناثر في استعمال الغريب(١٠) •

وللطوف رأى في بعض ما حكم عليه بالوحشية ، ففي قول الشاعر يهيف الملر :

المتعطمط فصب الوحوش مكانها تياره فالضب جار المسقدع

حكم النقاد بأن قوله " « متعطمط » أى : متلاطم ، من الوحشى ، ولو جمل عوضعها . متدارك ، أو متراكم ، أو متلاطم ، لأدت معناها . ويرى الطوق أن هذه اللفظة ليست متسوغلة فى الوحشية ، ولفظها مشعر بالكثرة والحركة وشدة الاضطراب والغليان ، فلا يقوم مقامها شيء من الألفاظ المذكورة(١١) .

ونحن مع الطوف ف أن لفظ « متعطمط » يوحى بما لا يوحى بسه غيرم من الألفاظ ، ولكنه من ناحية أخرى نقيسًا على اللسان بسبب ما فيه من تنافر ، وهذه ناحية يعاب منها اللفظ غير ناحية الوحشية ،

⁽٨) السابق : ٧٥ ، ٧٦ •

⁽٩) السابق: ٧٧ . ب

⁽١٠) المثل السائر: ١/١٨٢ وما يمدهل:

⁽١١) الاكسير : ٧٧ و

الصفة الثالثة : ألا تكون الكلمة مبتذلة بين العامة • وذلك قسمان:

أحدهما : أن يدرك اللفظ بالوضع على معنى ، فتنقله العامة الى غيرها ، وهو نوعان :

الأول : ما نقلته الى معنى مستقبح كقول المتنبى :

أذاق الغوانى حسنه ما أذاقنى وعف فجازاهن عنى على المرم فان الصرم فى اللغة القطيعة ، واستعمله العامة فى معنى آخسر قبير - ح (١٢) :

والثانى: ما نقلته العامة الى معنى غير مستقبح • كتسميتهم الانسان اذا كان حسن الصورة واللباس • • • ظريفا ، وانعا هو في وضع اللغة للحسن النطق(١٣) •

والقسم الثانى : ماكره استعماله لمجرد ابتذال العامة له ، لا لكونه محرفا عن وضعه ولا مستقبحا كلفظة « اللقالق » فى قول المتنبى :

وهلمومة سيفية ربعية يصيح الحصا فيها صياح اللقالق فهذا ومثله مما ينبغى اجتنابه لغثاثته وابتذاله(١٤) •

الصفة الرابعة: ألا تستعمل للفظ المسترك بين معنيين: حسن ومستكره بلا قرينة تعيزه ؛ اذ بدون القرينة يسبق الى الوهم المعنى المستكره ، فتمجه النفس وتنفر منه ••• وضرب الطوف لذلك امثالة

⁽١٢) السابق: ٧٧ ، ٧٨

⁽۱۳) السابق: ۷۹

⁽١٤) الإكسير و ٨٠ ، ٨١ 🗈

ذكرها الخفساجى وابن الأشير ، وانتهى من ذلك الى أن ألفظ الذى يبادر الذهن منه الى معنى مستكره أما أن يتجرد عن قرينة أولا ، فان تجرد عن قرينة كان مذموما ، وأن اقترنت به قرينسة ، فهى أما قسوية مزيئة للقبح نحو « مقاعد القتال » (١٥) ، وأما ضعيفة لا تزيله ، بل ، ربما كان عدمها أيسر حالا نصو : « مقاعد العسواد » في بيت الشريف الرضى (١٦) ،

الصفة الخامسة: تصغير اللفظة حيث يعبر بها عن معنى خفيف أو لطيف أو ضعيف للتناسب بينهما • وذكر الطوف فى هذا المواضع بعض مسائل التصغير • • • وانتهى الى أنه لا ينبغى الاكثار من التصغير ونحوه فى الكلام لأن مثله فى الكلام ، كالوشى فى الثياب ، فالمنع بهما أولى ، وأحسن توشية ، لأن النفس تمل الكثير(١٧) •

الصفة السادسة : أن تكون مركبة من أقسل الأوزان تركيبا ، وهو الثلاثى ، لاشتماله على البداية والوسط والنهاية ، وهو أوسسط الأبنية ، اد الحرف الواحد لا يفيد ، والحرفان اجحاف ، وليسا بمكان من العذوبة ، والرباعى والخماسى ثقيلان ، ولهذا كانت أكثر ألفاظ الكتاب العزيز ثلاثية ، والرباعى فيه قليل ، ولا خماس فيه أصلا ، الا ما كان من اسم نبى نحسو : ابراهيم واسماعيل ، وهى أعجمية لا عربيسة ، ولا يقسال فيه : « فسيكفيكهم » و « أنازم كموها » و « يستخلفنهم » و « أنازم كموها » و « يستخلفنهم » وهى أكثر من الخماسى ، لأنا نقسول ! كل من هذه كلمات ، وكلامنا في الكلمة الواحدة ، بخلاف قول المتبى :

ان المسكرام بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها

⁽۱۵) آل عبران : ۱۲۱ •

⁽١٦) الآكسير : ٨١ ـ ٨٥ ٠

⁽۱۷) السابق : ٥٨ - ٨٨ -

غانها كالمة والجدة ، وقد استهجنت منه لكثرة حروفها (١٨) .

وبعد أن انتهى الطوف من ذكر الصيفات الست ذكسر مسفتين الضريين :

أحدهما : تكون الكلمة جارية على العرف المعربي المتكيم ، عملي شاذة ، وبين أن الخفاجي هو مساحب هذا الشرط ، وأن ابن الاستير خالفه فيه ، وأيد الطوف نظرة ابن الأثير(١٩) .

وثانيهما : بناء الكلمة من حركات خفيقة ، وأشار الى أن أبن الألاير زعمانه ابتكر هذه الصفة ، وأنكر عليه ذلك ، وبين أنه مسبوق بهسا ، والأجود مما قاله ما ذكره غيره برهو : اعتددال الكلمة في حركاتهسا ، اذ خير الأمور أوسطها ، مالأخف والأثقل طرفان ، والأعدل واستنطأة حسنة ، وأعدلها حركتان وساكن ، فان أعوز فثلاث حركات ، وأربسع حركات ثقياة ، والخمس أولى ، ولذلك لا يحتطها الشعر (٢٠) ،

وبهذا يكون الطوفى قد شرط الفصاحة الكلمة ممانية شروط، لا تخرج عما ذكره الخفاجي وابن الأثير .

ودراسة الطوق مفصلة وجيدة ، وله فيها نظرات صائبة ، وقسد اعتمد في جلها على الخفاجي وابن الأثير، كما اعتمد على ميثم البخراني ونقل بعض آرائة وأسندها اليه(٢١) •

⁽۱۸) الاكسين: ۸۸ ، ۸۹ ٠

⁽۱۹) الاكسار : ۹۰

۲۰) السابق: ۹۱، ۹۰

⁽٢١) ينظر الاكسير : ٩٠ ، وأصولُ البَّلاَغَةُ : ٣٤ ، ١٤ •

شهاب الدين الحلبي (ت ٧٢٥ه):

تحدث الطبي عن البلاغة والفصاحة في كتابة «حسن التوسل الي صناعة الترسل » وقال أن الفصاحة هي : خلوص المسكلام من التعقيد عيب مضل التعقيد (۱) • • • وهو كلما نرى تعريف قطصر الذ التعقيد عيب مضل بغصاحة الكلام ، وليس هو كل ما يخل بفصاحة الكلام ، فهناك عيوب اخرى كتيافر الكلمات وضعف التبأيف يهن ثم فخلوص الكلام من التعقيد وحده لا يجعله فصديحا ، بل لابد من خلوصه من كافة العيوب المخلة بفصاحته ، وهذا التعريف هو نفس تعديق الرازى الفصياحة (۲) •

وتكلم الحلبي عن فصاحة المؤرد شقال : شفصاحة المفرد خاوصه من تنافر الحروف كقول أعرابي سئل عن ناقته (تراكبها ترعي المعقع) وكقول أمرىء القيس : « فواييه مستشيزرات الى الملا » ، ومن الغرابة وهي أن تكون الكلمة وحشية كميا عال عيسى بن عمر النحوى وقد سقط عن دابته « ما لكم تكلكاتم على تلكاكم على ديجية، افرنقعوا عنى » أي لجتمعتم على بتنصول ،

ومن مخالفة القياس كقول الراجز المحد الأعلايك الأجلل » فأن القياس الادغام (٣) ما

فبين الطبى أن الكلمة القصيحة هي الخالية من تتافر الحروف ، والغرابة ، ومخالفة القياس ، وهذه الشروط الثلاثة تنضوي فيما ذكره ابن سنان الخفاجي من شروط لهجاجة الكلمة.

⁽١) حسن العوسيل: ١٠٠٠ بـ

⁽٢) نهاية الايجاز : ٩ ٠

⁽٣) حسن التوسل : ١٠٣٠ ٠

محمد الجرجاني (ت ٧٢٩ه) :

عرض محمد بن على الجرجانى فى كتابه « الاثمارات والتنبيهات » الى فصاحة المسردات وبين أن فصاحتها تسكون بخليرها عن أمسور سيستة :

4.

١ ــ أن تخلو عن اجتماع المثلين من غير ادغام ، كالأجلل في قدول الشاعر :

الحمد لله العلى الأجلل

وعن اجتماع المتقاربين في المخرج لاسيما حروف الحلق ، كهعضم ومستشررات(١) •

٢ ــ أن تخلو عن العرابة ، فان المألوف محبوب ، وغير مكروه ،
 ومن ذلك الدردبيس في قول أبى تمام :

بنداك يوسى كل جسرح يعتلى رأب الأساة بدردبيس قنطر والدردبيس والقنطر معناهما واحد وهود الداهية (٢) •

٣ ــ ألا تكون الكلمة علمية كتفرعن في قول أبي تمام :
 جليت والموت مبد حر صد هدته وقد تفرعن في أفيعاله الأجل

ويلحق بذلك كله ما حدف منها أو زيد على غير قياس اما الحذف فكقول رؤية:

قواطنا مكة من ورق المحما

أراد الحمام ، وأما الزيادة فكقول ابن هرمة :

وأنت من الغواية حين ترمى وعن عيب الرجال بمنتزاح

(١) الاشارات والتنبيهات : ٤ ٠

(٢) السابق : ٥ م

اراد منتـزح(۳) ·

٤ ــ ألا تكون الكلمة معبرة عن غير ما عبرت به العرب ، كأيم فى قــول أبى عبــادة :

تشق عليه الربيح كل عشمية جيوب الممام بين بكر وأيم أراد بالأيم الثيب، وانما هو المرأة التي لا زوج لها(٤) •

ه ــ ألا يتون للكلمة المستعملة معنى آخر يكرم ذكره • مكالكتيفا ، والفـــائط(٥) •

٣ ــ ألا تكون الكلمة خارجة عن هد الاعتدال كثيرا ، كمفناطيس،
 وأذربيجان(٦) •

وكلام الجرجانى فى هذا الموضوع لا جديد فيه ، وقداعتمد فيه على الخفاجى ، كما أن فى كلامه خلطا واضطرابا ، حيث ضم تقارب المخارج مع اجتماع المثلين فى شرط واحد ، وهما مختلفان ، فاجتماع المثلين من غير ادغام من قبيل مخالفة قياس ، وتقارب المخارج من قبيل التتافر والثقال .

وتحدث عن الحذف والزيادة في الكلمة في حديثه عن استعمال العامى ، وليسا من واد واهد ، فالحذف والزيادة من مخالفة القياس،

وجعل التعبير بالكلمة عن غير ما عبرت به العرب شرطا منفصلا . وهو من مخالفة القياس والعرف عند الخفاجي ،

⁽٣) السابق: ٦، ٧٠

⁽٤). السابق : ٧ •

⁽٥،٥) الاشارات والتنبيهات : ٨

ابن الأثير الطبي (ت ٧٣٧ه):

تحدث احمد بن اسماعيل بن الأثبير الطبى فى كتابه « جوهر الكنز » عن فصاحة الألفاظ متأثرا بما كتبه الخفاجى وابن الأثير حيث لم يخرج فى كلامه عما ذكراه من شروط لفصاحة الكلمة ، وقد تناول ما ذكره منها بالتفصيل ، وهى كما يلى :

ا ـ تباعد مخارج الحروف: فان الحروف اذا تباعدت مخرجها كانت أحسن من المتقاربة المخارج ، ومهما كان اللفظ قريب المخرج من أخيه كان قبيحا ، اذا الألفاظ لقرب مخارجها تكون مكدودة قلقة غير مستقرة في أماكنها ، ومهما كانت الحروف بعيدة المخارج جاءت متمكنة في أماكنها غير قلقة ولا مكدودة (١) .

٢ ــ استعمال الكلمات غير الحوشية ولا المتوعرة: والمراد بالحوشية ، القليلة الاستعمال ، وذلك عيب في المكلام فاحش ، فيجب اجتنابه .

وينبه ابن الأنير الحلبى على نقطة علمة هي أن الحوشية أمير نسبى يخضع للمتكلمين وزمانهم ، فكل زمان تكون الفصاحة فيه بحسب فهم أهله للألفاظ الدائرة بينهم •

والعرب كانت قبائل ، وإكل قبيلة لغة هي حوشية عند غييرهم ، فالفصاحة مخاطبة كل قوم بلغتهم الدائرة بينهم .

ويستشهد على ذلك بحديث طهفة بن أبي زهير النهدى حين قدم على رسول الله صلى الله عليه ويسلم وكلمه بالفساظ غربية ، وأحسابه

(١) جومر الكين : ١٩٠٠

الرسول صلى الله عليه وسلم بكلام غريب من جنس كلامه (٢) ، ويعلق على هذا الحديث بقوله : فانظر المي هذا الكلام العادر عن رسول لله صلى الله عليه وسلم ما أحسنه في بابه مع غرابته وكونه غير مفهوم لكثير من النسساس .

وينتهى من ذلك الى أن الانسان اذا خاطب قوما بلغاتهم الدائرة بينهم المفهومة عدهم والمستعملة الفاظها لا يكون ذلك من بساب الموشى ، بل هو من الفصاحة ، الا اذا استعمله عند غيير أرباب تلك اللغيبة (٤) و

وهذه الفكرة ليست بجديدة عند الحلبى ، فقد أشدر اليها السابقون وعلى رأسهم الجاحظ الذى ذكر أنه لا ينبعى أن يكون اللفظ غربيا وحشيا الا أن يكون المتسكلم بدويا اعبرابيا ، فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس ، كما يفهم السوقى رطانة السوقى (٥) وتحدث عنها ابن الأثير في « المثل السائر » ولكنها تجلت بوضوح عند الخلبى ، حيث فصلها ، ودافع عنها بشدة .

الا أننا نرى ربطها بحالات خاصة وعدم التوسيع فيها ، لأن الأدب الحي مقروء على مر العصور والأجيال ، فينبغى أن تكون لغته وسطا بين الغرابة والابتذال ، فلا تكون متوعرة حوشية ، ولا ساقطة عامية ، وبذا يتصل نبضها بين الناس على الدوام .

⁽۲) ينظر الحديث كاملا في جوهر الكنز : ۳۷ ــ ۳۹ .

والمثل السائر: ٢٣١/١ ــ ٢٣٤ .

⁽٣) جومر الكنز : ٣٩ .

⁽٤) السابق: ٣٩٠

⁽٥) البيان والتبيين : ١٤٤/١٠

أما المفاطبات الخاصة التي لها ظروفها وأحسوالها فهي تخصّع للحال المناسب لها و والرسول صلى الله عليه وسلم ، قد راعى أحوال هؤلاء المخاطبين وغيرهم من أصحاب اللهجات ، الذين لا يحسسنون سواها عا أو يعتزون بها ، وربما كان في ذاك نوع من تأليف قلوبهم باشعارهم بأن لهجتهم الخاصة جديرة بأن يستعماها رسول الله صلى الله عليه وسلم(٦) .

ومن ثم علق صاحب المثل انسائر على حديث طهفة بقدوله : ان فصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تقتضى استعمال هذه الألفاظ ، ولا تكاد توجد فى كلامه الا جوابا لن يخاطبه بمثلها ، كهذا الحديث وما جرى مجراه(٧) •

هبين أن هذا الحديث وما يشبهه قيل في حالة خاصة تقتضيه وليس سمة عامة لفصاحة الرسول صلى الله عليه وسلم •

وقد سبق أبو هلال العسكرى الى بيان مراعاة النبى مسلى الله عليه وسلم لاحوال الناس فى مكاتباته ومضطباته ، وضرب مثالا بكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم الى عظيم فهارس وألفاظه فى غهاية السهولة ، وكتابه الى وائل بن حجر الحضرمى ، وألفاظه فخمة ضخمة وعلق عليهما بقوله : فسهل صلى الله عليه وسلم الألفاظ فى كتابه الى كسرى علية التسهيل حتى لا يخفى منها شىء على من له أدنى معسرفة فى العربية ، ويمكن ترجمته ، ولما أراد أن يكتب الى قوم من العرب فخم اللفظ ، لما عرف من فضل قوتم على فهمه ، وعادتهم لسماع مثله الله مثله .)

⁽٦) الغرابة في الحديث النبوى: ١٤٦٠

⁽٧) المثل السائر : ١/٢٣٤ 💽

⁽٨) الصناعتين : ١٦١٠

٣ ـ الاحتراز من المبتدل مين العامة : والمبتدل عنده ما كان من الألفاظ دالا على معنى وضع في أصل اللغة فغيرته العامة وجعلته دالا على معنى آخر .

وقد قسمه الى ضربين:

ضرب مستحسن ، وهو ما غيرته العامة عن موضوعه الأصلى وعبروا به عن معنى آخر .

وضرب مستقبح ، وهو ما غيرته العامة عن موضوعه الأصلى ، وسموا به معنى آخر .

فالضرب المستحسن كقولهم: فلان جميل البوجه، حلو الشمائل، مليح القامة ، ظريف الحركات ، كامل الحسن ، وأصل هذه الصفات التي تذكرها العامة لم تضعها العرب لما وضحتها العامة عليه ، وانما كانت العرب اذا أخذت في صفات خلق الانسان قالبوا: الصباحة في الوجه ، والوضاءة في البشرة ، والجمال في الأنف والحلاوه في العينين ، والملاحة في الفم ، والظرف في اللسان ، والرشاقة في القاد ، والنياقة في الشمائل ، وكمال الحسن في الشعر ، فغيرتها العامة المي ها هو دائر بينهم ،

ومثان الضرب المستقبح: الألفاظ التي غيرتها العامة عن معناها الأسلى، واستعملتها في معنى قبيح أو مذموم ، وبذلك كره استعمالها، وصارت الفصاحة تأباها (٩) •

وتعريف الحلبى للضربين واحد ، وكان يجب أن ينبه على هذا قَ تَحقيق الكتاب ، وربما يكون تعريف الضرب الثانى القصا واصله : وسموا به معنى آخر قبيحا ، فبهذا يظهر الفرق بين الضربين .

⁽٩) جوهر الكنز : ٣٩ ، ١٠ ،

وهذان الضربان منقولان عن المثل السائر • وهما للقسم الأول من البتدل والضرب الشائئ منهما يدخل في المسترك بين معنيين أحدهما يكره ذكره وهو الشرط الذي سيأتي بعد هـذا وأم يذكل المطبى القسم الثاني من المبتذل ، وهو ما لم تغيره العامة عن وفسعه وانما أنكر استعماله لابتذاله بينهم (١٠) •

٤ ـ الاحتراز عن المعبر به عن معنى يكره ذكره الا أن تنضم اليه قرينية تصرفه عن المعنى المكروه فانه يجوز استعماله مثال ذلك قاوله تعالى في حق النبي طالم : « فالذين آمنوا به وعزروه ونصبوه » فافظة التعزير موضاوعة لمعنى مكروه ، فأما ضم اليها في الآية قرينة « آمنوا به » « ونصروه » فهم أن المراد بلفظة التعربز الاكرام لا ما وضّعت له في أصل اللغة ، فحسن استعمالها بهذا الاعتبار (١١) .

ه _ الاتيان باللفظة المؤلفة من أقل الأوزان تركيدا ، وذلك أن الكلمة أذا تركبت من حسروف قليلة ، خفت على النطق بها ، بخلاف ما اذا كانت مؤلفة في حروف كثيرة ، فانه يثقل النطق بها على اللسان وعلى السماع (١٢) .

٦ - أن تكون الكلمة مبنية من حركات خفيفة ، مذاك أن الكلمــة اذا كان فيها حركتان متواليتان ساغ قبولها في الأسماع • عاما اذا كانت ثلاث حركات متواليات في كلمة واحدة استكرهت عليلا ، فاذا كانت أربع حركات غانها تثقل أكثر (١٣) ٠

⁽١٠) ينظر المثل السائر: ١٩٨/١.

⁽١١) جَوْهُو الْكُنْزُ : ٤٠ ، وينظرُ المثلُ السَّائِلُ : ٢٠٠٨ .

⁽۱۲) جوهر الكنز : ٤٠ .

⁽۱۲) السيايق: ۲۶ .

ويتضح مما سبق أن ابن الأثير الطبي ناقل عن الخفساجي ، وابن الأنسير الجزرى ، ولم يضف شيئًا ذا بال الى ما ذكراء ، وفي كالامة الدماواتية في بعض الموضع ،

الطيبي (ت ٧٤٣):

تحدث شرف الدين الطبيى فى كتابه « التبيان » عن أوصاف اللفظة المصردة وذكر أنها ستة:

ا ــ أن يكون تركيبها من الحروف اللذيذة العدبة معمد ويجتب في التأليف ما كان قريب المخارج لاسيما حروف الحلق فانها متناهية في التقسل (١٤) •

۲ ــأن يجتنب تــوالى أكثــر من حركتين ، ويجتنب الحــركات الثقيلــــة(١٥) •

- ٣ ــ أن تكون منوسطة بين قلة الخروف وكثرتها (١٩)
 - الا تكون وحشية غير ها وقة (١٧) .

٣ -- ألا تكون مسئتركة بين معنون أحصدهما مكروه وجيء بها
 مطلقة (١٩) •

وقد اعتمد الطبيى في حديثه على الخفاجي وابن الأثير والسكاكي، واحتم احتماما خاصا بما كتبه ابن الأثير عن الفصحاحة ، ويسين أنه سيلخص ما بسطة مع زيادات مفيدة وحسن تأليف (٢٠) .

⁽١٤) التبيان : ٤٧١ ، ٤٧٢ ٠

⁽١٥) السابق: ٤٧٣٠

⁽١٦) السابق: ٤٧٠ ـ ٤٧٥

⁽۱۷) السابق : ۲۷۱ ·

⁽۱۸) السابق : ۲۷۱ •

⁽١٩) السابق : ٤٧٧ ·

٤٦٧ : السَابق : ٤٦٧ ·

التنـــوحَى (ت ٧٤٨) :

تكلم زين الدين محمد بن محمد بن عمر التنوخى في كتسابه « الأقصى القريب » عن الفصاحة والبلاغة والبيان ، وبين أنها ألفاظ تشترك في كثير من المعانى ويختص كل واحد منها بما ليس الكفر (١) أ

وتحدث عن الكلمات المفردة فبين أن منها ما يستحسن ، ومنها ما يستبشع وذلك بحسب أمور منها :

- ـ تباعد مخارج الحروف وتقاربها ٠
 - ــ المألوف والحسوشى ٠
- ــ ما لم تبتذله المامة وما ابتذلوه •
- أن تكون الكلمة وضعت فى أصل وضعها غير مستقبحة المعتى، ثم صرفها الاصطلاح آنفا الى ما يستقبح .
 - ـ التصغير غيما يليق به وما لا يليق .
 - التركيب من أخف الأوزان وأثقلها
 - خفة الحركات أو ثقلها (٢) •

فالكلمة تكون حسنة عنده أذا استوفت سبعة شروط هى: أن تكون متباعدة المخارج ، مركبة من أخف الأوزان ، وأخف الحركات ، مألوفة الاستعمال ، غير مبتذلة ، ولا مستقبحة ، ولا مصغرة في غير موضع التصيغير •

وهذه الشروط لا تخرج عن شروط الخفاجي وابن الأثير ٠

⁽١) الأقصى القريب : ٣٣ ٠

⁽٢) السابق ٠

وفصل التنوخي الحديث في بعض ما يتعسل بهذه الشروط ، ويساعد على انتقاء الألفاظ العسنة .

ففيما يتصل بالمخارج وخفة الأوزان والحركات تحدث عن مخارج المحروف ، وصحفاتها (٣) • وأصحول الكلمات وزوائدها ، ودرجات الحروف والمحركات في المخفسة والثقل ، فالمحروف منها ما هو خفيف ومنها ما هو ثقيل ، ومنها ما هو خفيف بالنسبة الى شي، وثقيل بالنسبة الي شيء آخر ، وأخف الحروف جروف المحواللين ، وهي : الآلف والياء والواو •

والألف أخف من الياء ، والياء أخف من الواو ، والحرف الساكن أخف من المتحرك ، والمنتوح ، أخف من المتسور ، والمكسور أخف من المنسموم ، والحرف اذا انكسر ثقل ، والانتقال من الواو الى الياء ثقين ، والانتقال من الياء الى الواو أثقال منه ، والنسمة والكسرة مئاءما .

وهذه الناحية الصوتية تأثر فيها بأبن جنى والخفاجى ، وهو على جانب كبير من الأهمية ، وينبغى أن تضمم الى حديث المبلاغيين في فصراحة الكلمة ،

وفيما يتصل بالمسألوف والحوشى يرى أن المتكلم بينبغى أن يجتب هوشى الكلام الا أن ألجأت اليه ضرورة والحوشى والمحشى بمعنى واحد وهو الذى بيعد فهمه على أكثر من يسمعه ، ولا يكون ذلك معيبا الا اذا قام مقسامه غيره من البين لأكثر الناس ، وليس ذلك بالنسبة الى من كان لغته من العرب ، ولا من تكلم معهم به ، لمسا روى أن رسول الله من خاطب طهفة النهدى بالغريب(٤) ...

⁽٣) السابق : ٣٤ ، ٣٥ •

⁽٤) يِنظر الحديث كاملا في المثل السائل (١٣٣٦) و

انما يعاب ذلك على مثل ابن الرومي في قوله :

اسقنى الاسكركة الص نبر في جعضافونه واترك الفيجن فيه يا خليلي بغصونه (٥)

فبين التتوخى معنى الحوشى ، وحث على اجتنابه ، وآجاز السنته العرب الذين طبعوا عليه ، ولن تكلم معهم ، وفي حالات المضرورة ، وقد سبق الى هذا كثير من المتقدمين .

وبخصوص ما نقتله العامة علن أصله ميز التنوخى فيه بين توعين :

ما نقل من معنى غير مستقبح الى معنى مستقبح ، وهدا ينبغي المتنسابه ،

مثله وهذا لا حرج في استعماله (٦) •

وبين التاوخي أن مما ينبغي اجتنابه من الألفاظ ما ابندانه العامة وكثر في كلامها وإن كان صحيحا كالقفا والرقبة ، والحسن أن يعدن عنه الى الظهر والعنق •

ومما ينبغى اجتنابه ما هو مشترك بين ظدين الا أن يرون معه قرية تخصصه بالمراد ، كقولك : عزرت فلآنا ، فههو مشترك ببن أن يكون عظمته أو أهنته (٧) .

ولا جديد عند الناوخي في كل هذا فقد تحدث عنه المنتدمون وبيناه فيما مسبق .

⁽٥) الأقصى القريب : ٣٥ ، ٣٦ •

⁽٦) الأقصى القريب: ٣٦٠٠

⁽۷) السابق 😲

يصيى بن عمرة العلوى (مت ١٩٧٩) :

تحدث العلوى عن الفصاحة والبلاغة فى كتابه « الطراز » متأثراً بما كتبه « ابن الأثير » بل ناقلا كثيرا مما كتبه دون أن يصرح بذلك •

وعرف الفصاحة بقوله: هي خلوص اللفظ عن التعقيد في تركيب الأحرف والألفاظ جميعا(١) • وهو تعريف قاصر ، لأنه ام يحترز فيه الاعن عيب واحد من عيوب الفصاحة وهو التنافر في الكلمة والكلام، وخلو الكلمة أو الكلام عن هذا العيب لا يعنى بالضرورة فصاحته ، فهذاك عيوب أخرى تخل بالفصاحة وسبقه العلماء الى بيانها • وقد سبقه الشهاب الحلبي بهذا التعريف (٢) •

بوتناول فصاحة المفردات من ناحيتين : ناحية بتلليف حروف الكلمة ، وناحية الكلمة ذاتها •

أولا: تأليف حروف الكلمة:

بين العلوى أن الحروف تختلف فى العذوبة والسلاسة ، اللا أن شيئًا منها غير مستكره ، ولكن الاستكراء انما يعرض من أجل التأليف لما يحصل بسببه من التنافر والثقل ، فلأجل هذا كانت العناية باحكام التركيب والتأليف ، لأنه ربما حصل على وجه يفيد رقة الفظ وحلاوته فيكون حسنا ، وربما حصل على وجه يفيد ثقلا وتعثرا في اللسان فيكون حسنا ، وربما حصل على وجه يفيد ثقلا وتعثرا في اللسان فيكون قبيحا .

يومن هنا لم يجمع الواضع بين حروف مخصوصة ، كالعين والحاء، أو الغين والحاء، أو الخال الخيم والصاد ، أو الجيم والقاف ، أو الخال

۱۰٤//٤ ; ١/٤//١ •

⁽٢٦ حسن التوسيل: ١٠٤٣ و

المجمة والزاى ، وذاك لما يحصل من تأليف هذه من البشاعة والتقسل على اللسان في النطق (٣) ٠

ويتابع ابن الأثير في أن مرجع الحكم بحسن الألفاظ وقبحها الى الذوق ، وينفى أن تكون مخارج الحروف سببا في قبح اللفظ أو حسنه، كما ذهب « ابن سنان » وغيره ، عانهم عولوا على أن قرب المضارج يكون سببا في قبح اللفظ ، والتباعد في المخرج يكون سببا في حسن اللفظ ، وهذا فاسد ، فانه ربما يعرض استكراه في النطق لما كانت حروفه متباعدة مثل « مام » • • • وقد يكون الحسن فيما كانت حروفه متقاربة مثل « ذقته بفمي » • •

كما أن الكلمة قد تؤلف تأليفا مخصوصا ، وتكون فى غاية الركة على اللسان، فاذا عكست حروفها صارت أرق ما يكون وألطف وأعجب، ومثال ذلك: « ملع » و « علم » فالأولى باردة ركيكة والثانية رقيقة لطيفة ، وهما من حروف واحدة «

وبهذا يتثبت أن مستند الاعجاب في حسن تأليف اللفظة انها هو الذوق السليم ، والطبع المستقيم ، لا ما زعمه ابن سنان وغيره(:)،

ما يراعى في تاليف الكلمة:

واستنبط العلوى مما ذكره شروطا تجب مراعاتها فى تأليف الكامة لتكون فصيحة وهي :

١ - ألا تكون حروف الكلمة متنافرة فى مخارجها ، فيحصل الثقل من أجل ذلك .

⁽٣) الطراز : ١٠٧/١ ،١٠٨ ٠

⁽٤) الطّراد : ١٠٨/١ ، ١٠٨ ٠

٢ ــ أن تكون معتدلة في الوزن ، فإن الأوزان ثلاثة : ثلاثبة ، ورباعية ، وخماسية ، فأكثرها استعمالا الشالائي لخفته ، وأبعدها الخماسي لكثرة حروفه ، وأوسطها الرباعي لحصوله بين الأمرين .

والتعويل في ذلك على الذوق ، فإن الكلمة ربما كثرت حروفها وهي خفيفة على اللسان كقوله تعالى الله ، (٥) وقوله تعالى الله الله من في الأرض »(٦) •

والشرطان الأول والثالث من الشروط التى اعتبرها ابن الأثير في غصاحة الكلمة (١٠) ، أما الشرط الثانى فهو من شروط ابن سسنان الخفاجى (١١) ، ونم يعتد ابن الأثير به ، وبين أن طول الكلمة لا يوجب قبحها ، وانما العبرة فى ذلك بتأليف الدروف بعضها مع بعض واستدل بحسن الكلمات الطويلة فى القرآن الكريم ، وغيره (١٢) .

⁽٥) البقرة : ١٣٧٠

⁽٦) النور : ٥٥ •

⁽٨،٧) القمر : ٤٧ ، ٥٢ •

⁽٩) الطراز : ١/٩٠١ ، ١١٠٠ ٠

⁽١٠) ينظر المثل السائر : ١٠٥/١ ، ١٠٦/١ .

⁽١١) ينظر سر القصاحة: ٧٨ •

⁽۱۲) المثل السائر: ١١/٥٠٦ ـ ٢٠٦ e

وكلام العلوى في هذا الشرط يناقض آخره أوله ، غانه شرط أن تكهن الكلمة معتدلة في الموزن ، ثم عاد وبين أن التعويل في ذلك على الذوق ، وهذا نقض لما شرطه أولا ، إذ لا داعى له مادام المسول في الدسكم على الذوق .

ثانيا: ناحية الكلمة ذاتها:

لم يرتض العلوى ما قيل من أنه بلا قيسح في الألفاظ وأنها كلمسا حسنة ، وذلك الأمسرين :

١ ــ أنه لو كان الأمر كذاك علم تقع تقرقة بين الألفاظ في الأبنية والأوزان على المخفية والثقل عوالثابت أن الألفاظ تتفاوت في ذلك مــ

٣ ــ انه لو كان الأمر كذلك لم تقع تفرقة بين الشاذ والمألوف ،
 والنادر والمستعمل من جهة الوضع والأمر عكس ذلك ،

وساق العاوى أسماء للخمر : وللاسد ، وللسيف ، مبينا تغاوت هذه الألفاظ من حيث الثقل والخفة كذليل على ما بين الألفاظ من تقاوت في الحسن والقبح (١٣) •

وذكر العاوى شروطا اغصاجة الكلمة من (١٤):

ا ... أَن نكون اللفظة عربية قد تواضع عليها أهل اللغة • • • وليس بمنكر استعمال شيء من الذمات كالفارسية وغيرها على جهة التحريف نه ، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم •

وقد ورد هذا الشرط في كلام ابن سنان (١٥) ،

⁽١٣) الطراز: ١١١/١٠

⁽١٤) الطراز : ١١٢/ - ١١٦ -

⁽١٥) ينظِر سِرِ الغِيباحةِ : ١١٧٠ - --

٢ ــ أن تكون الكلمة جارية على العادة المألوفة ، فلا تكون شاذة خارجة عن الاستعمال المطرد في معناها وبنائها واعرابها وتصريفها ، فما خلف القياس وأوضاع اللغة فهو مردود .

هـذا من شروط ابن سـنان ، حـيث ذكر أن الكلمـة يجب أن الكون جارية على العرف العربى الصحيح (١٦) • ولم يعتد ابن الأثير بهذا الشرط لأن عدم جريان الكلمة على العرف العربى لا يوجب لهـا حسـنا ولا قبحا ، وانما يقدح في معرفة مستعملها بما ينقلـه من الألفــناظ(١٧) •

٣ ــ أن تكون اللفظة خفيفة على الألسنة ، لذيذة على الأسماع عنها حاوة الذوق ، وهذا الشرط يوجب عدم وجود تنافر فى الكلمة أو ثقل فيها ، أو نبو فى السمع عند سماعها •

وقد أشار أبن سنان الى ذلك (١٨) ، كما بين ابن الأثير أن السمع الساس في الحكم على الأفاظ بالحسن أو القبح (١٩) •

٤ ــ أن تكون اللفظة مالوفة فى الاستعمال ، فلا تكون وحشية ،
 ويقرب معناها فلا يبعد تناوله .

والمقصود بهذا الشرط أخراج القريب الوحشى من دائرة الفصاحة، وقد ذكره بن سنان(٢٠) كما ذكره ابن الأثير(٢١) .

⁽١٦) ينظر سر الفصاحة: ٦٧٠ •

⁽۱۷) المثل السائر : ١/٥٧١ ٠

⁽١٨١) سر الفصاحة: ٥٥ ٠

⁽١٩) للثل السائر: ١٦٩/ ١، ١٦٩٠

⁽٢٠) ينظر سر الفصاحة : ٥٦ .

⁽۲۱) ينظر المثل الشائِر : ١٧٥/١٥٠ بـ ١٨٥ بنظر المثل الشائِر : ١٧٥/١٥٠ بـ ١٧٥ (٢١) فصاحة)

٥ ــ أن يكون اللفظ مختصا بالجزالة والرقة ، والجزالة لا تعنى الوحشية ، والرقة تعنى الركاكة وومسية ، والرقة لا تعنى الركاكة ووقد أخذ العلوى هذا من كلام ابن الأشير وضرب نفس الأمشلة التى لذكرها (٢٢) و

ومن عرضنا لكلام العلوى فى فصاحة الكلمة نرى أنه لم يأتبجديد ولم يضف شيئا الى ما سبق أن ذكره ابن سنان ، وما ذكره ابن الأثير، عمم قد فرق العلوى شروط فصاحة الكلمة بين ناحيتين : تأليف حروف الكلمة ، والكلمة ذاتها ، ولكنها فكرة لا عائد من ورائها ، ولا تغير من الأمر شيئا ،

⁽٢٢) ينظر المثلُ السائر: ١/٥٥٨ _ ١٩٥٠

الخطيب القرويني (ت ٧٣٩ه) :

تناول الخطيب مصطلحى الفصاحة والبلاغة بالشرح والتحليل ، في مقدمة كتابيه « التلخيص » و « الايضاح » وأشار في بداية الحديث اعتهما الى اختلاف الناس في تفسيرهما ، وبين أن كلا من الفصاحة والبلاغة تقع صفة لمعنيين : الكلام والمتكلم » فيقال : قصيدة فصيحة أو بليغة ، وشاعر بليغ أو فصيح ، كما يقال : رسالة فصيحة أو بليغة ، وكاتب بليغ أو فصيح ، وتختص الفصاحة بوقوعها وصفا للمفرد ، فيقال : كلمة فصيحة ، ولا يقال : كلمة بايغة (١) •

وتفريق الخطيب بين الفصاحة والبلاغة من حيث وقوعهما وصفا الكلام والمتكلم، واختصاص الفصاحة بوقيءها وصفا للكلمة دون البلاغة قد سببق البيه ابن سنال الخفاجي ، وتبعه فيه ابن الأشير (٢) كما اسلفنا بيانه .

ويرى الشيخ عبد المتعال الصعيدى أن الخطيب اعتمد فى تقسيم البلاغة والفصاحة على ما جاء فى «حسن التوسيل » لأبى التناه الحلبى (٣) • وهذا غير دقيق لسبين :

ا ــ أن هذا الكلام ورد عند أبن سنان وتبعه فيه ابن الأثير ، وهما سابقان للحلبي .

٢ - أن الحلبي لم يذكر هذا التقسيم في حديث من البالاغة والفصاحة ، ولكنه قال : البلاغة أن يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده ، من ايجاز بلا احلال ، واطاله في غير املال ، والفصاحة : خلوص الدرب من التعقيد ، وقيل : البلاغة في المعانى ، والفصاحة في الألفاظ ، دل :

⁽١) بغية الايضاح: ١٨/١١، ١٢، والتلخيص: ٢٤٠

⁽٢) ينظر سر الفصاحة : ٤٩ ، ٥٠ والمثل السائر : ٩٢/١ ، ٩٤ .

⁽٣) بغية الأيضاح: ١٢/١٠

معنى بليغ ، ولفظ فصيح ، والفصاحة خاصة تقع على المفرد ، يقال . كلمة فصيحة ولا يقال : بليغة وأنت تريد الفرد (٤) •

وبين بعد هذا غصاحة المفرد ، وفصاحة الكلام ، ولم يتحدث عن فصاحة المتكلم ولا عن البلاغة بنوعيها (٥) •

وهذا يثبت بعد كلام الخطيب عن كلام الحلبى ، وعدم اعتماده عليه في التقسيم •

ولم يعلل الخطيب لعدم وصف الكلمة بالبلاغة الابقوله : لا يقال . كلمة بليغة ، وعلل السعد ذلك بعدم السماع ، اذ لم يسمع عن العرب كلمة بليغة (٦) •

وقيل فى تعليل ذلك: ان البلاغة معناها المطابقة لمقتضى الحال ، وهذه المطابقة انما تنحصل برعاية الاعتبارات الزائدة على أصل المراد، فلا تتحقق فى المفرد ، انما تتحقق فى الجملة المفيدة .

ورد السعد وغيره هذا التعليل بما حاصله: أن هذا التعليل انما يتم ان سام الا بلاغة الا ما ذكر ، فاذا جاز أن تكون ثم بلاغة أخرى يصح وجودها في الكلمة غير المطابقة ، لم يكن ذلك علة في عدم وصف الكلمة بالبلاغة ، فان قال هذا المعلل : لا معنى البلاغة في كلام العرب الا هذا المعنى ، وهو محال في الكلمة ، فقد عاد التي انتفاء السماع ، وهو ما علل به السعد ومن تبعه (٧) •

⁽٤) حسن التوسل : ١٠٣٠

⁽٥) ينظر حسن التوسل : ١٠٢ _ ١٠٤ ٠

⁽١) المختصر (ضمن الشروح) : ١/١٤٧ ا

⁽٧) مختصر السعد ، وحاشية اللمبوقي ، ومواهب الفتاح : ١/٧٤

وهذا الرد مبنى على أمر مفروض لا وجود له فى الحقيقة ، فلل على البطال التعليل الصحيح المبنى على تفسير البلاغة طبقا لما النتهى اليه العلماء ، ومن ثم فهو تعليل مقبول ، اضافة الى أنسه لا يتعارض مع ما قالوه من عدم السماع ، والجمع بينهما قوة للتعليل، فصاحة الكامة :

وتحدث الخطيب عن خصاحة الكلمة المفردة فقال: فصاحة المفردا هي خلوصه من تنافر الحروف ، والغرابة ، ومخالفة القياس (٨) وبذلك جعل لفصاحة الكلمة ثلاثة شروط:

- ١ ــ خارها من نتافر الحروف ٠
 - ٢ ـ خلوها من الغرابة ٠
- ٣ _ خلوها من مخااغة القياس ٠

وفصل كل شرط منها كما سيتضح نيما يلى:

١ ـ تنافر الحروف ٢

بين الخطرب أنه على قسمين:

الأول: ما ناكون الكلمة بسببه متناهية فى الثقل على اللسان ، وعسر النطق بها ، كما فى كلمة « العهذم » •

والثاني: ما هو دون ذلك في الثقل ، كما في كلمة « مستشرر » في محول امرىء القيس :

غدائره مستشزرات الى العلا تضل المدارى فى مثنى ومرسل (٩)

۱۲//۱ : الإيضاح : ۱۲//۱ .

⁽٩) السابق : ١٢//١ ، ١٣ •

وهذا الشرط مستفاد مما ذكره أبن سنان من كون الكلمة مؤلفة من حروف متباعدة ، وغير مكروهة في السمع ، ومعتدلة التأليف • وقد اعتبره السكاكي في فصاحة الكلمة كما بينا في حديثنا عنه •

ولم يعرف الخطيب النتافر ، وعرفه السعد بأنه : وصف فى الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها (١٠) • كما لم يبين ضابط النتافر ولا مرجع الحكم به ، وبين السعد ومن تبعله أن الضابط فى ذلك هر الدوق الصحيح ، فما يعده ثقيلا متعسر النطق به فهو متنافر ، سواء كان من قرب المخارج أو بعدها أو غير ذلك ، ولا يصلح قسرب المخارج أو بعدها ضابطا للتنافر لعدم اطراده فيهما (١١) • وهذا رأى الأثير كما أسلفنا بيانه •

٢ ـ الفرابة ٢

بين الخطيب معناها وهو أن تكون الكلمة وحشية لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفته الى أحد شيئين :

۱ – أن يبحث عنها فى كتب اللغة المبسوطة كما فى لفظتى الا بتكأ كأتم » بمعنى اجتمعتم ، و « افرنقعوا » بمعنى انصرفوا .

٢ — أن تخرج على وجه بعيد كلفظ « مسرجا » فى قول العجاج:
 وفاحما ومرسنا مسرجا

فانه لم يعرف ما أراد بقوله « مسرجا » حتى اختلف فى تخريجه، فقيل : هو من قولهم للسيوف سريجية منسوبة الى قين يقال له سريج،

⁽۱۰(المطول : ۱۸ ۰

⁽۱۱) مختصر السعد ، الاحاشية الدسوقي ، ومواهب الفتاح المرام ، ۸۰/۱

يريد أنه في الاستواء والدقة كالسيف السريجي • وقدل : من السراج، يريد أنه في البريق كالسراج • وهذا يقرب من قولهم « سرج وجهه » بكسر الراء : أي حسن • وسرج الله وجهه أي بهجه وحسنه (١٢) •

وهذا الشرط من الشروط التي اعتبرها ابن سنان الخفاجي ، والمثالان اللذان ذكرهما الخطيب واردان ضمن ما مثل به الغرابة .

وللسبكى نظر فى تفسير الخطيب للغرابة ، لأن تفسيره لها يقتضى أن تكون غرابة معنى لا غرابة كامة ، ومن ثم مال الى أن الغرابة هى قلة الاستعمال ، كما يقتضيه كلام السكاكى (١٣) • فمن شروط فصاحة الكلمة عنده دورانها على ألسنة العرب الفصحاء (١٤) •

ولعل هذا ما جعل السعد يفسر الغرابة بكون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى ، ولا مألوغة الاستعمال(١٥) • فجمع فى تفسير لها بين كلام الخطيب وكلام السكاكى •

ولم ينظر الخطوب الى العريب باعتبار الناطقين به وزمانهم ، ومن ثم ام يقسمه من هذه الناحية ، وقسمه بعض شراح التلخيص بهذا الاعتبار قسمين : غريب حسن وغريب قبيح ، غالغريب الحسن لا يعاب استعماله على العوب الخلص دون الولدين لأنه لم يكن وحشيا عندهم، وهو لا يخل بالفصاحة، ومنه غريب القرآن والحديث الشريف، والغريب القبيحيعاب استعماله مطاقا، وهو الوحشى الغليظ، ويجمع بجانب الغرابة

⁽١٢) بغية الإيضاح: ١١/٥١، ١٦٠

⁽١٣) عُرُوْسُ الْأَفْرَاحِ : أَرْ ١٧٨ ٠

⁽١٤) مفتاح العلوم : ٢١٦ ٠

⁽١٥) المطول : ١٨٠

الثقل على السمع ، ومنه : « جحيش » بمعنى فريد ، و « جفخت » بمعنى فريد ، و « جفخت » بمعنى فخرت (١٦) •

وهم فى هذا التقسيم تابعون لابن الأثير ، فهو الذى ذهب الى هذا التقسيم واهتم بتقصيله وضرب الأمثلة له(١٧) •

واذ! كان الخطيب لم ميتعرض فى تقسير الغرابة لبيان موقفه من غريب القرآن الكريم ، وغريب الحديث الشريف ، فان تعريفه للغرابة فيضرجهما من دائرتها ، لأنه يقصد بالغريب : الوحشى المهجور الذى يحتاج الى بحث فى الموسوعات اللغوية الكبرى ، وذلك ينطبق على الكلمات التى توشك أن يميتها الزمن ، ويبتلعها التاريخ ، أما ما يعده العلماء من غريب اللقرآن والحديث فهو مستعمل ودائر على الألسنة وليس وحشيا متوعرا ، انه الغريب الحسن الذى يناقض المبتذل بجزالته وعلو طبقته ، ولا صاة له بالغريب الخارج عن الفصاحة (١٨) .

٣ _ مخالفة القياس ٢

ولم يذكر الخطيب ضابطا لهذا الشرط، ومثل أنه بقول الشاعر: الحمد لله العلى الأجلل

فلفظ « الأجال » غير فصيح لمظلفت القياس ، فان قياس « الأجل » بالادغام (١٦) •

وعرف السعد مخالفة القياس بقوله . أن تكون الكلمة على خلافة

⁽١٦) المطول المطول : ١٨ ، ومواهب الفتاح : ١١٨٠ •

⁽١٧) ينظر المثل السائر: ١/٥٧١ ، ١٧٦٠

⁽١٨) ينظر خصائص التراكيب : ٣٤ ، ٣٥ إ

⁽١٩) بغية الايضاح: ١١١/١١ ، ١٧ •

قانون مفردات الألفاظ الموضوعة ، أعنى على خلاف ما ثبت عن اللوضع (٢٠) •

فالمخالفة تعنى أن تكون الكلمة مخالفة لما يثبت عن الواضع، سواء لخالفت التياس الصرف المستنبط من تتبع لغة العرب أو خالفته •

وعلى هذا يعد من الفصيح كل ما وافق الثابت عن الواضع وكان مخالفا للقانون الصرف ، كما في الشواذ الثابتة سماعا ، دون أن تكون خاضعة للقواعد الصرفية ، مثل : استحوذ ، وعور ، وآل ، فان القياس: استحاذ ، وعار ، وأهل ، وقد جاءت مخالفة لهذا القياس ، ومع ذلك فهي فصيحة ، لموافقتها ما ثبت عن الواضع (٢١) .

ولما كانت العبرة بما ثبت عن الواضع ، آثر بعض العلماء تعبير « مخالفة القياس » لأنه أنسب بالمعنى المراد (٢٢) ٠

ويدخل فى مخالفة القياس اللغوى كل ما تنكره اللغة لمأخذ لغوى الله صرفى (٢٣) وقد سبق ابن سنان الى أيضاح ذلك ، وأشار الى أن الضرورات الشعرية التى أجازها اللغويون كصرف ما لا ينصرف ، وقصرا المهدود وغير ذلك ، لا تؤثر كثيرا فى فصاحة الكلمة ، ولكنه يؤثر صيانة الكلمة عنها ، لأن الفصاحة تنبىء عن اختيار الكلمة وحسنها ، وهذه

⁽٢٠) مختصر السعد : ١١//٨٨ ، والمطول : ١٩ ٠

⁽٢١) حاشية النسوقي: ١٨٨/١٠ والمنهاج الواضح: ٢٦٠ •

⁽۲۲) المنهاج الواضع : ۲۶ •

⁽٢٣) بغية الايضاح: ١٧/١٠

⁽۲۶) سر الفصاحة : ۷۳ ، ۷۶ ۰

الضرورات صفات نقص فيها فيجب اطراحها (٢٤) ولم يبين الخطيب موقفه من هذه الضرورات ، وظاهر كلامه يقتضى أن كل ضرورة ارتكبها شاعر تخرج الكلمة عن الفصاحة (٢٥) •

وهذه الشروط الثلاثة إفصاحة الكلمة ، قد أوردها الشهاب الحلبى، وعرضنا لها عنده ، ولكنه لم يفصل الكلام فيها كما فصل الخطيب ، ولا يمكن الحكم بنقل الخطيب عن الشهاب ، لأن هذه الشروط وردت عند البن سنان ، كما وردت فى كلام السككى الذى هو أساس تلخيص الخطيب وايضاحه ، كما وردت فى كلام بدر الدين بن مالك ،

شرط غيه نظر :

وعرض الخطيب اشرط من شروط غصاحة الكلمة عند بعض البلاغيين وهو : عدم كراهة الكلمة في السمع ، وأشار الى أن له نظرا فيه • فقال : وقيل : فصاحة المفرد هي خلوصه مما ذكر ، ومن الكراهة في السمع ، بأن نتمج الكلمة ويزبرا من سماعها كما يتبرا من سماع الأصوات المنكرة ، فإن اللفظ من قبيل الاصدوات ، والأصوات منها ما تستلذ النفس سماعه ومنها ما تكره سماعه ، كلفظ « الجرشي في قول المين الطيب :

كريهم الجرشي شريف السب

أى كريم النفس • وفيه نظر (٢٦) •

وعدم كراهة الكلمة في السمع من الشروط التي اعتبرها ابن سنان في فصاحة الكلمة ، اذ بين أن اللفظة الفصيحة نجد لها حسنا في السمع

⁽۲۰) ينظر عروس الأفراح : ۱۸۸۸ ٠

⁽٢٦) بغية الايضاح: ١٧/١، ٨٦ُ · وصدر البيت: مبارك الاسم. أعز اللقب ·

وقبولا بخلاف ما يكرهه السمع وينبو عنه فهو غير فصيح ومن أمثلته لفظ « الجرشي » بمعنى النفس في قول أبي الطيب السابق (٢٧) •

وورى ابن الأثير أن السمع أساس فى الحكم على الألفاظ بالحسن أو القبح ، لأن الأفاظ من قبيل الأصوات ، فما استاذه السمع منها فهو الحسن ، وما كرهه فهو القبيح (٢٨) .

وأشار الدسوقى الى أن قائسل هذا بعض معاصرى الخطيب القزوينى (٢٩) • ولا شك فى أنه استفاد هذا الشرط من ابن سنان الخفاجى ، اذ هو السابق الى ذكره كما أسلفنا •

وقد ذكر الخطيب أن له نظرا في هذا الشرط ، ولكنه لم يفصح عن هذا النظر ، ووجه السعد هذا النظر بأن الكراهة في السمع داخله تحت الغرابة المفسرة بالوحشية ، اظهرر أن الجرشي من قبيل تكأ كأتم ، وافرنقعوا ، وغيرها (٣٠) .

وقيل فى توجيهه: ان الكراهة فى السمع وعدمها راجعة الى قبيح الصوت وعدم قبحه ، لا الى ذات اللفظ ، فكم من لفظ فصرح يستكره فى السمع اذا أدى بصوت منكر ، وكم من لفظ غير فصيح يستلذ سماعه اذا أدى بصوت طيب ، وحينئذ لو احترز عن الكراهة فى السمع ، لخرج كثير من الكلمات المتفق على فصاحتها ، بسبب نطق قبيح الصوت (٣١) .

ورد السعد على هذا التوجيه بما حاصله: لا نسام أن الكراهــة في السمع وعدمها انما يرجعان لقبح الصوت وحسنه لا لنفس اللفظ ،

⁽۲۷) سر الفصاحة: ٥٥، ٦٥٠

⁽۲۸) المثل السائر: ١/١٩، ١٦٩٠

⁽٢٩) حاشية الدسوقي : ١/٨٩ ٠

⁽٣٠) المطول : ١٩ .

⁽٣١) المطول : ١٩ ، ومواحب الفتاح ١٩٢١ ، ٩٣ ه

الذ او كان كذلك لزم أن يكون الجرشى غير مكروه في السمع الا اذا سمع من قبيح الصوت ، وليس كذلك ، للقطع بكراهته دون مرادفة وهو النفس وان نطق به حسن الصوت (٣٢) •

كما قيل في توجيه نظر الخطيب : أن الكراهة في السمع أن أدت التي الثقل فقد دخلت تحت التنافر ، والا فلا تخل بالفصاحة •

وعلق السعد على هذا التوجيه بأن صعفه ظاهر (٣٣) • وانما كان ضعيفا لأنه قيد الكراهة المخلة بالفصاحة بأن تفضى الى التتافر ، وعند ذلك تكون داخلة غيه ، بينما الذى شرط خلوص الكلمة منها ، لم يقيدها بذلك ، اذ لم قيدها به لم يكن ثمت داع للنص عليها أكتفاء بالتنافر ، كما أنه لم يجعل الكراهة قسمين : مخلة بالفصاحة وغير مخلة بها ، انما شرط خلو الكلمة من الكراهة على العموم •

ومن رد الخطيب لشرط الكراهة فى السمع نفهم أنه يعتبر الشروط النثلاثة التى ذكرها هى أسس فصاحة الكامة ، وما عداها داخل فيها ، أو ظاهر لا يحتاج للنص عليه ، أو غير معتبر عنده فى فصاحة الكلمة ،

ووجه حصر فصاحة الكامة فى خلوها من هذه العيوب الثلاثة أن الكلمة لها مادة وهى حروفها ، وصورة وهى صيغتها ، ومعنى ، وحينئذا بفعييها اما فى مادتها وهو التنافر ، أو فى صورتها وهو مخالفة القياس، أو فى معناها وهو الغرابة (٣٤) .

CANA

⁽٣٢) حاشية الدسوقى : ١٩/٠٩، وينظس المطول : ١٩، وموامع

⁽۳۳) اَلْمُطُولُ: ١٩ ٠

⁽٣٤) حاشية الدسوقى : ٧٦/١ .

علامة كون الكلية فصيحة:

وبعد أن بين الخطيب شروط فصاحة الكلمة ذكر علامة يستدل منها على فصاحتها وهى: أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرا، أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها (٣٥) •

وهذه العلامة سبق اليها السكاكى (٣٦) ، وأخذها الخطيب عنه ، وتعقبه السبكى فيها ، فقد تمال بعد أن ذكرها : وقوله : أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها ، فيه نظر : لاستنزامه أن مراتب الفصاحة لا نتفاوت ، لأنه اذا كان استعمالهم لها أكثر من غيرها ، وجعاناه دليل الفصاحة ، فلا يكون غيرها نصيحا بحال ، ولا يقال : قوله كثيرا ررفع هذا الوهم ، لأنه انما يقصد بقوله أن يكون استعمالهم لها كثيرا ، كون الكلمة ليس لها مرادف ، فكثرة استعمالها دليل فصاحتها ، أما اذا كان كلمتان مترادفتان ، فقد شرط في فصاحة احداهما الأكثرية ، ولا شهاك أن رتب الفصاحة متفاوتة ، وأو كان مراده الكثرة من كلمة لها مرادف، لأن الأكثر كثير (٣٧) ،

وعلى هذا فالأدق أن يقتصر على الجزاء الأول من هذه العلامة ، وهو: أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرا ، لتحاشى هذا النظر .

وبهذا ينتهى هديتنا عن غصاحة الكلمة عند الخطيب القزويني ، وقد رأينا أنه جمع شروط غصاحة الكلمة في ثلاثة شروط ، وطرح ما عداها ، وعلى رأيه ومنهجه سار البلاغيون من بعده ، وهذا ما دعانا الى تأخير الكلام عنه رغم تقدمه على بعض العلماء السابقين ،

⁽٣٥) بغية الايضاح: ١٨/١ ؛

⁽٣٦) مفتاح العلوم : ٤١٦ ٠ م

⁽٣٧) عروس الأفراح : ٩٤/١ •

وهذه الشروط الثلاثة وان كانت تجمع جل ما قاله العلماء السابقون من شروط الا أنها في حاجة الى شرط كان ينبغى الخطيب أن ينص عليه، وهو عدم ابتذال الكلمة ، لأهمية هذا الشرط في فصاحة الكلمة ، وعدم اندراجه فيما ذكرة من شروط .

ولسنا مع الشيخ عبد المتعال الصعيدى فى قوله: ان ابتدال الكلمة لا يعييها ، ما دامت معانى الكلام جيدة ، مستندا فى ذلك الى ما اختاره ابن شرف القيروانى ، وما عليه بعض نقاد الانجليز الدين يرون أن الأبتدال يكون فى الفكرة لا فى الكلمة (٣٨) • لأن الفكرة الجيدة تحتاج اللي ألفاظ جيدة تبرزها فى مظهر حسن ، وحلة أنيقة ، ولنا المثل الأعلى فى القرآن الكريم الذى جمع أسمى المعانى فى أبدع الألفاظ ، وهو ما يجب أن تخضع لأسلوبه مقاييس الفصاحة • والنقاد العرب مجمعون على أن ركاكة الكلمة وابتذالها مما يفسدها ويهجنها ، ومن أراغ معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف ، اللفظ الشريف، كريما فليلتمس له لفظا كريما ، فان حق المعنى الشريف ، اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما (۴۹) .

 ⁽٣٨) بغية الايضاح : ١/٤١٠ • والبلاغة العالية : ١٩٠٠ •
 (٣٣) البيان والتبيين : ١/١٣٥١ •

خاتم___ة

تَتَبَعْنَا فَيُما سبق مقاييس فصاحة الكلمة في تراث البلاغيين ، بدءا من ظهور الملاحظات النقدية الفطرية ، وانتهاء بالخطيب القزويتي •

وقد رأينا في خلال هذه المسيرة ، أن هذه المقاييس بدأت بملاحظات مقدية فطرية ظهرت على ألسنة الشعراء والخطباء والبلغاء ، وتطورت الى وصايا ونصائح وردت في صحف الأدباء والعلماء ، وسجل الجاحظ كثيرا من هذه الملاحظات والوصايا ، وأضاف اليها من فكره ، مما جعلها تأخذ طورا جديدا يهتم فيه بدراستها وشرحها والتوسع فيها ، حستى مرحلة الازدهار على يدى أبن سنان الخفاجي .

وانصرف جهد من جاء بعدد الى الضبط والتلخيص اله الشرح والتحايل ، مع مناقشة بعض آرائه ، حتى وصل الأمسر الى الخطيب القزويني فضبط مقاييس فصاحة الكلمة في خلوها من عيوب ثلاثة : تنافر الحروف ، والغرابة ، ومقالفة القياس ، وقد ملكت هذه المقاييس الثلاثة زمام الفكر البلاغي في فصاحة الكلمة حتى يومنا هذا .

بيد أن بعض الباحث في العصر الحديث لهم وجهات نظر في بعض المقاييس البلاغية الفصاحة الكلمة ، أو بعض الأمثلة التي أوردها البلاغيون ، وهذا ما لم نشأ أن نعرض له في هذا البحث ، المسين أن تتاح لنا فرصة أخرى نفصل فيها الحديث عن ذاك .

والله الموفق والمستعان • وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

المراجسع

- ۱ _ أثر القرآن في اللغة العربية _ أحمد حسن الباقوري _ دار العابيف ٠
- ٢ ــ أصول البلاغة ــ كمال الدين البحراني ــ ت د عبد القادر.
 حسين ــ دار الشروق ١٩٨١ م •
- ۳ _ الاشارات والتنبيهات في علم البلاغة _ الجرجاني _ ت د عبد القادر حسين _ نهضة مصر ١٩٨٢ ٠
 - (٤ _ الأغاني _ أبو الفرج الأصفهاني _ طدار الكتب المصرية •
- ه _ الأقصى القريب في عام البيان _ التنوخي _ ط السعادة ١٣٢٧هـ
- الأكسير في علم التفسير _ الطوف _ ت د عبد القادر حسين _
 مكتة الأداب ١٩٧٧ ٠
 - ٧ _ بغية الايضاح _ القزويني والصعيدي _ مكتبة الآداب .
 - ٨ ــ البلاغة تطور وتاريخ ــ د٠شوقى ضيف ــ دار المعارف ٠
 - البلاغة العالية عبد المتعال الصعيدي مكتبة الآداب •
- ۱۰ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ ت عبد السلام هارون ـ دار الله الفكر ـ بيروت ٠ الفكر ـ بيروت ٠
- ۱۱ التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان الطبيى ت د مادى مطبية بيروت م
- ۱۲ التلخيص القزويني شرح البرقوقي دار الفكر العربي . - بيروت ٠

- ۱۳ ـ الجامع الكبير في صناعة المنظهم والمنشهور ـ أبن الأثير ـ ت د مصطفى جواد ود حميل سعيد ـ ط المجمع العلمي العراقي ١٩٥٦ ٠
- 18 ـ جوهر الكنز ـ ابن الأثير الحابى ـ ت د محمد زغاول سلام ـ ـ منشأة المعارف .
- ١٥ ـ حاشية الدسوقى على مختصر السيعد _ محمد الدسوقى _
- ١٦ حسن التوسل الى صناعة الترسل شهاب الدين الحلبي ت اكرم عثمان بعداد ١٩٨٠ م ٠
- ۱۷ ـ الحيسوان ـ الجاحظ ـ ت عبد السلام هارون ـ مصطفى الحلبي ـ القاهرة .
- ١٨ ـ خصاقص التراكيب عدده محمد أبو موسى حدمكتبة وهبة به القياه و ٠ القيام و ٠
- ١٩ ـ الخصائص ـ ابن جنى ـ ت التجار ـ طور الكتب المرية ١٩٠٠ .
 - ٢٠ ــ دلائلٌ الاعجاز ٤ عبد القاهر التجرجاني ــ ت المراغي ٠
- ٢١ ـ سر صناعة الأعراب عدابن جتى مد مصطفى الطبي ـ ١٩٥٤ .
- ۲۲ سر الفصاحة ابن سنان الخفاجي ت عبد اللَّتَعَالَ الصعيدي ٢٢ مكتبة صبيح ٠
- المحاج ـ الجوهري ـ ته آخود عطان ـ ط ۲ ـ ۱۹۸۲ ـ ۲۳٪ به انقساهرة .

- ۲۶ _ الصناعتين _ العسكرى _ ت البجاوى والبي الفضك _ ح حيسي الحلبي •
- ٢٥ _ الطراز المتضمن الأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز _ العلوى _ ط المقتطف
 - ٢٦ ــ عروس الأفراح ــ بهاء الدين السبكي ــ ط عيسى الحلبي .
- ۲۷ ـ الغرابة في الحديث النبوي ـ د عبد الفتاح البركاوي ـ د مطبعة حسان ـ القاهرة .
- ۲۸ ـ قانون البلاغة ـ البغدادى ـ ت د محسن غياض ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت •
- ۲۹ _ المثل السائر _ ابن الأثير _ ت د الحوف بود طبانة _ نهضة مصر .
- ۳۰ ــ المختصر ــ سعد الدين التفتاز اني ــ ضمن الشروح ــ ط عيسى الحمليي ٠
- ٣١ المدخل الى دراسة البلاغة د فتحى فريد النهضة المصرية
- ۳۲ ـ المصباح فى اللعانى والبيان والبديع ــ بدر الدين بن مالك ــ ت د مسنى عبد الجليك ــ مكتبة الآداب ــ ١٩٨٩ .
 - ٣٣ _ المطول _ سعد الدين التفتاز اني _ ط أحمد كامل .
- ۳٤ ـ معجم المسطلحات البلاغية ـ د · أحمد مطاوب _ المجمع العلمي العراقي •
- ۳۵ _ مفتاح العلوم _ المسكاكى _ ت نعيم زرزور _ الكتب العلمية _ بيوت ،

- ٣٦ ـــ من بلاغة القرآن ـــ ده أحمد بدوى ـــ نهضة مصر ه
- ٣٧ _ منهاج البلغاء وسراج الأدباء _ حازم القرطاجنى _ ت الحبيب ابن الخوجة _ بيروت .
 - ٣٨ _ المنهاج البراضح للبلاغة _ حامد عوتني _ ط ٢ _ ١٩٥١ .
- ٣٩ ــ مواد البيان ــ على بن خلف الكاتب ــ ت د حسين عبداللطيف ــ حمواد البيان ــ على بن خلف الكاتب ــ ت د حسين عبداللطيف
 - ٤٠ _ مواهب الفتاح _ ابن يعقوب المغربي _ ط عيسي الطبي ٠
- ۱۱٪ ــ نقد الشعر ــ قدامة بن جعفر ــ ت كمال مصطفى ــ ط ۳ ــ القـاهرة ٠
- ٢٢ ــ النكت فى العجاز القرآن ــ الرمانى ــ ت محمد خلف الله وزغلول ملام ــ دار المعارف •
- ٤٣ ـ نهاية الايجاز في دراية الاعجاز ـ الرازي ـ ط الآداب ـ ٢٠٠٠ م ١٣١٧ م ٠

موضوعات ألكتاب

٣	متـــــدمة :
	الفصيل الأول
٥	قصاحة الكلمة عند ألمتقدمين
•	بداية مطرية :
1.	ــ العصر العباسي الأول:
18	ــ تأليف الكتب :
18	_ الجامط:
۲.	ــ تــدامة بن جعفر :
71	ـــ أبو هلال العسكري .
70	ـــ على بن خلف الكاتب :
XX.	ب أبن سنان الخفاجي :
10	ــ عبد القاهر الجرجاني
	الفصسل الثساني
{Y }	فصاحة الكلمة عند المتأخرين
٤٧	البغـــدادئ:
£A	س السكاكي ك
0.+	ــ ابن الأثير:
٧٤	ــ البحراني :
٧٤	- حازم القرطاجني "
Å.	ــ بحر الدين بن مالك :



ــ الطبوق :

- الشهاب الحلبي :

محمد الجرجاني:

_ ابن الأثير الطبي "

_ الطيبى :

- التـوخى:

ـ يحيى بن حمزة ألعاوى:

_ الخطيب القزويني .

_خاتمــة:

المراجيع

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩١/٧٦٧٤